حسن البنّا

فى عام ١٩٠٦ ولد حسن أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتى.

فى عام ١٩٤٩ استشهد الشيخ حسن البنا.

مؤسس جماعة الإخوان المسلمين وإمامهم الأول ومرشدهم الذى غاب عن الدنيا ليحكمهم من الآخرة.

ثلاثة وأربعون عاماً، هى عمره كله، حكم فيها على جماعته وترك فيهم رجالاً أطلقوا مارد العنف والتدمير والتكفير من رقاده الطويل لتملأ ظلال التكفير الحالكة عقول من وقع فى أسرها، لتشهد مصر أياماً طويلة من العنف والكراهية وإهدار دماء المسلمين وغير المسلمين.

كان كل شىء فى طفولة حسن البنا ينبئ بأنه شخص غير عادى.. فهو ليس مجرد طفل ولد وتربى فى بيئة محافظة وعائلة متدينة؛ حرص فيها والده الأزهرى مأذون القرية أن يحفظ ابنه القرآن.. ولكنه كان يرى فى نفسه الكثير.. كان لا يهتم بما يشغل الأطفال فى عمره، بل كان يبتعد عن اللهو واللعب ويشغل نفسه بأمور الكبار ومشاغلهم، كان له رأى فى حياته ومستقبله، فبعد أن حفظ نصف القرآن فى "الكتّاب" أصر على أن يلتحق بالمدرسة معارضاً رأى والده فى أن يتم حفظ القرآن أولاً.. ووعده بأن يتم حفظه وهو على مقاعد الدراسة.

وفى المدرسة كان القدر بانتظاره.. جماعة صغيرة كونها مدرس باسم جمعية السلوك الاجتماعى أو الأخلاق الأدبية" انضم لها حسن البنا على الفور، وكان للجمعية مجلس إدارة ولائحة وكانت تهدف إلى نشر الأخلاق الحميدة ومراقبة من يخالفها، وتوقيع غرامات مالية لعقابه.. فمن يشتم زميلاً يدفع مليماً غرامة؛ ومن يسب بالوالد يدفع مليمين؛ ومن يسب الأم يدفع قرشاً؛ ومن يسب الدين يدفع

قرشين وإن لم يستجب لعقوبات الجمعية تتم مقاطعته حتى ينفذ العقوبة، وكان ما يجمع من أموال الغرامات ينفق على المحتاجين والفقراء.

ولم تكف تلك الجمعية طموحات الصغير، فهو دائماً كان يشعر أن لديه مهمة أكبر يجب أن يسعى لتحقيقها.. فهو لديه قدرة على التأثير فى الآخرين وفرض رأيه وحجته عليهم.. فأسس مع شقيقه وعدد من أصدقائه جمعية منع المحرمات

"كان عمره وقتها لا يتجاوز الاثنى عشر عاماً.. وكانت الجمعية تراقب أفعال الناس وترصدها إذا خالفوا أوامر الدين من الإفطار فى شهر رمضان أو ترك الصلاة أو ارتكاب الآثام والذنوب.. وكانت تقوم بتوجيه خطابات إلى الآثمين تحذرهم مما ارتكبوه وتحثهم على ترك ما هم فيه والعودة إلى صحيح الدين. وكانت مهام العمل فى الجمعية تتوزع بين أعضائها.. فمنهم من كان يتولى تجميع النصوص والأحاديث الدينية، ومنهم من كان يصيغ الخطابات، وكان البعض يكتبها وآخرون يقومون بتوزيعها على الآثمين، واستمرت الجمعية وكانت تمول من أعضائها الذين كانوا يدفعون اشتراكاً أسبوعيا يتراوح ما بين خمسة وعشرة مليمات، وظلت تلك الجماعة تقوم بدورها حتى تم اكتشافها على يد صاحب مقهى كان قد وظف لديه راقصة لتعمل فى مقهاه.. فسارع أفراد الجمعية إلى كتابة خطاب تحذير لصاحب المقهى وتولى أحد أفراد الجماعة مهمة توصيله، وشاء القدر أن يلمح صاحب المقهى "حامل الرسالة" وينهره بشدة .. ليتوقف نشاط الجمعية من بعد تلك الواقعة.

وانتقل البنا بعد ذلك إلى مدرسة المعلمين بدمنهور.. وفى مسجد صغير كان يتردد عليه ليحضر دروس الشيخ زهران ما بين المغرب والعشاء لفت نظره أن بعد صلاة العشاء يتجمع عدد من الرجال والشباب فى المسجد يقيمون حلقة ذكر وعرف أنهم جماعة صوفية تسمى "الإخوان الحصافية".. أعجب بهم وبتواضعهم وبتقبلهم له رغم صغر سنه، وانتظم فى حلقتهم وتعرف على صديق عمره أحمد السكرى الذى شاركه فى تأسيس ما سيعرف فيما بعد بـ"الإخوان المسلمين"، وظل مرتبطاً بالجماعة الصوفية حتى أسس بعد ذلك مع صديقه جمعية "الحصافية

الخيرية"، وكان رئيسها أحمد السكرى والبنا سكرتيراً وكانت مهمة الجمعية نشر الدعوة ومكافحة ارتكاب المحرمات ومقاومة مجموعات التبشير، التى كانت تتحرك تحت دعوى الأعمال الخيرية، وما بين الدراسة فى دمنهور وليالى الخميس والجمعة فى المحمودية التى كان يقضيها البنا ما بين المسجد ومنزل الشيخ "شلبى الرجال" الذى كان يجتمع فيه أصدقاؤه يذكرون الله وينتقلون بين كتب الصوفية وأداء الصلوات فى المسجد. ظل البنا مواظباً على عاداته ونشاطه بدقة شديدة حتى حدث التغير الهائل فى حياته، كان عمره ستة عشر عاماً عندما تقدم للالتحاق بدار العلوم بالقاهرة؛ وبعد فترة من دراسته انتقلت أسرته إلى القاهرة واقترب البنا بحذر شديد من الحياة فى القاهرة وطبيعتها المختلفة عن الحياة فى القرية؛ بنظامها ودقتها وعاداتها وتقاليدها المحافظة؛ وعندما رأى المقاهى وروادها.. والصحف وما تنشره استيقظ داخله شعور بالرغبة فى التغيير والدعوى والإرشاد، واقترح على أصدقائه أن يقوموا بإلقاء العظات على رواد المقاهى لنصحهم وتعريفهم بصحيح الدين، ولاقى معارضة شديدة منهم وحاولوا إفهامه أن الحياة فى القاهرة وطبيعة أهلها مختلفة عن الريف، ولكنه أصر على رأيه وبدأ مشواره.. وفى أول ليلة ألقى عشرين عظة فى عشرين مقهى..

وفى عام ١٩٢٧ حصل حسن البنا على دبلوم المعلمين.. كان عمره واحداً وعشرين عاماً وتم تعيينه فى الإسماعيلية.. ومن هناك يبدأ أول المشوار.. وفى المدينة الهادئة توضع اللبنة الأولى لجماعة الإخوان المسلمين..

ولا يمكن أن نغفل التطور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى الذى طرأ على المجتمع المصرى قبل مولد حسن البنا بسنوات طويلة.. فمنذ نهضة محمد على التى أخرجت النظام التعليمى والثقافى فى مصر من دائرة علماء الأزهر إلى التعليم المدنى بمختلف فروعه والانفتاح على العالم العربى وتعلم اللغات الأجنبية والعلوم الحديثة مما جعل الصدام ما بين العاملين أمراً حتمياً أفرز صراعاً فكرياً ما بين القديم والحديث، وهى طبيعة الأمور عندما يحدث الحراك فى حالة من الجمود والركود لفترات طويلة.. وبدأت تظهر فى الحياة الفكرية والثقافية

مصطلحات رددت لأول مرة منها التغريب وسلطان العقل وتغييب العقل وغيرها من المصطلحات والتعبيرات التى صورت تلك التغيرات على أنها صراع ما بين التطور والتحديث والعلم والدين والعادات والتقاليد.. وهو ما جعل دعوة الإمام محمد عبده تلقى نجاحاً هائلاً بقوله إن الإقبال على العلوم الحديثة وتعلم اللغات والاستفادة منها فى العلوم الإسلامية.

وجاء سقوط الخلافة العثمانية واتجاه الدولة التى كانت ما زالت تحفظ المظهر الإسلامى للدول الإسلامية إلى العالم الغربى ولم تكتف دولة الخلافة السابقة بتوجهاتها الغربية فقط بل وإعلانها بوضوح كامل تخليها عن كل ما له علاقة بالإسلام.. وهو ما أسفر عن خلق حالة من الصراع الفكرى وظهور ما يمكن أن نعرفه بالفكر العلمانى.. وكان من الطبيعى أن يتأثر المجتمع المصرى بتلك التغيرات والصراعات الفكرية التى بدأت تدعو إلى تحرر المرأة، والتمرد على العادات والتقاليد.. والتخلص مما يعيق مسيرة التقدم وانطلقت تلك الدعوات فى مصر وهى خاضعة للاستعمار الانجليزى وفى ظل وجود جاليات أجنبية تعمل فى مختلف المؤسسات والأماكن؛ وتحمل معها عاداتها وتقاليدها وقيمها الخاصة وتزامن كل هذا مع بوادر النهضة التى انطلقت فى مصر، فنشطت الأحزاب السياسية وتعددت.. وكان منها حزب الأمة، وحزب الإصلاح، والحزب الوطنى، حزب المقاصد المشتركة للعمال والحزب الاشتراكى المبارك .

وتعددت الصحف ولأول مرة تأسست جامعة مصرية وأصبح هناك قادة مثقفون يقودون حركة التنوير فى مصر. وقد يكون أبلغ تعبير عن الحراك داخل المجتمع المصرى ما قاله المفكر "شبلى شيمل" بعد صدور كتابه "فلسفة النشوء والارتقاء" وما أثاره من ضجة هائلة وقتها (بأن الرجة التى حصلت اليوم هى المقصودة منى فى ذلك الحين لإيقاظ الأفكار من نومها العميق والحركة؛ مهما كانت؛ خير من السكون).

وعبرت تلك المقولة عن طبيعة المجتمع المصرى التى استقرت لفترات طويلة على السكون والخضوع لسلطة الكبير، والجمود الذى لا يسمح بالتغيير عما هو

متوارث. وأوضح ذلك د.الطاهر مكى بقوله (هذه البنية المحافظة القدرية الجامدة والتى تسود فيها الأمية وتستشرى فيها الخرافة وتكون الكتب الصفراء هى أساس المعرفة ويقدس فيها القديم أى قديم وتكون هذه البنية مجالاً طيباً لوصاية العلم وهم المشايخ وهم فى الأغلب ذوو ثقافة سلفية وهنا يتقبل الفرد التفسير الأبسط والأسهل والحل الجاهز).

وهكذا كان المجتمع المصرى مهيأً تماماً لحدوث الصدام المحتوم بين ما بشر به التغيير القادم ومخاوف المحافظين الذين يرون فى التغيير خطراً يهدد الثقافة والهوية الإسلامية بدون المحاولة فى التوفيق بينهما والاستفادة من التغيرات الحديثة لخدمة الدعوة الإسلامية مثلما دعا إلى ذلك الإمام المفكر محمد عبده الذى لاقى هو أيضا نصيبه من الهجوم والتطاول عليه حتى أن البعض وصفة بالشيخ "المهياص الهجَّاص" لأنه كان قد أعلن (أن لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله من كلام رسوله بدون توسط أحد من سلف ولا من خلف).

وازدادت المناقشات حدة حول مفاهيم الوطنية والاستقلال والخلافة وتزامن كل هذا الحراك مع حدث هام ارتبط بالكنيسة المصرية. فلقد ظهر المذهبان الكاثوليكى والبروتستانتى ونشاط حركة التبشير بهما وهو ما تنبه له المستعمر وسعى بكل قوة إلى نفخ النار ونشر الشائعات التى تجعل التبشير يستهدف الإسلام والمسلمين، رغم أنه كان فى البداية تبشيراً مسيحياً مسيحياً. إلا أن المستعمر وظف نشاط تلك المذاهب لتزداد حالة التوتر الطائفى مما يجعل سيطرته أسهل فى فرض وصايته على شعب تتآكله الطائفية.

واستشعر حسن البنا الخطر بعد أن عاش طفولته وشبابه وهو شديد الالتزام والتدين، رصد التغيرات الهائلة التى تتقاذف داخل مصر لتؤهلها للانتقال من الجمود إلى عالم جديد مرتبط بالغرب ومنطلقاً إليه فى ثقافاته ودعواته..

وقد عبر البنا نفسه عن حاله وحال أصدقائه الذين يشتركون معه فى نفس ظروف نشأته وحياته، فقال: (الله وحده يعلم كم أمضينا من ليالٍ نبحث حال الأمة نحلل العلة ونفكر فى وسائل العلاج الممكنة ولقد بلغ بنا القلق درجة وصلنا معها

إلى حد البكاء).

ولجأ البنا إلى كبار المفكرين الإسلاميين فى ذلك العصر، باحثاً لديهم عن الحل والمشورة، فلجأ إلى علماء الأزهر ولم يخرج بنتيجة ترضيه لمواجهة تأثير الحضارة الغربية والفلسفة المادية والتقاليد القديمة كما عبر هو بنفسه.

حمل حقيبته وسافر إلى الإسماعيلية ليعمل مدرساً بها.. وحمل معه همومه وما نشأ عليه من تدين والتزام، وما منحه له الله من قدرة هائلة على التأثير فى الآخرين، وما عرفه هو عن نفسه من أن هناك قدراً ينتظره..

التزم بمنهجه فى التربية الدينية مع تلاميذه فى المدرسة ولم يضيّع دقيقة واحدة خارجها.

فكان لا يكف عن الحركة يدعو فى المسجد وفى السوق والمقاهى والشوارع، يتنقل بين العمال والتجار وبين سكان الأحياء الفقيرة.. كان يشعر أنه مكلف بمهمة ما.. لم يتوان فى تنفيذها. خطب ووعظ وحاول أن يصنع مدينته الفاضلة وكان هو الداعى لها ومرشدها..

وظل مثابراً على دعوته حتى حانت اللحظة الهامة فى حياته ليتحول من داعية صبور إلى زعيم تنعقد عليه الآمال، ومن شاب بسيط أراد أن ينجو من حوله بإرشادهم إلى طريق الهداية إلى منقذ المسلمين ومعز الدين. وبالتحديد فى أحد أيام شهر مارس عام ١٩٢٨ طرق بابه ستة من أصدقائه.. عقدوا عزمهم على تغيير الأحوال.. جلسوا معه.. وناشدوه أن يقبل ما جاءوا يعرضونه عليه.. فقد سبق أن استمعوا إليه وتأثره بصدقه وورعه ورغبته فى الحفاظ على الإسلام مما يحيق به من الأخطار، اتفقوا أن يجعلوه مسئولاً أمام الله وأمام أنفسهم على انطلاق دعوة هدفها أن يحيا فى سبيل نشرها وأن يموت فى سبيلها أيضاً.. جلس أمامه أصدقاؤه حافظ عبد الحميد ويعمل "نجاراً" وأحمد المصرى ويعمل "حلاقاً" وفؤاد إبراهيم ويعمل "مكوجياً" وعبد الرحمن حسب الله ويعمل "سائقاً" وإسماعيل عز ويعمل "جناينياً" وزكى المغربى ويعمل "عجلاتياً". عاهدوه على أن يضعوا دماءهم وأرواحهم وأموالهم القليلة بين يديه؛ وهو المتعلم صاحب الفكر والرؤية..

وأقسم الجميع على أن يكونوا جنداً لرسالة الإسلام تحت مسمى اقترحه البنا عندما قال لهم نحن إخوة فى خدمة الإسلام ومن ثم فنحن (الإخوان المسلمون).

فى تلك الليلة ولدت جماعة الإخوان المسلمين لتنشر دعوتها بين الآلاف وليتبعها الآلاف لتثير تلك الجماعة منذ ذلك الوقت وحتى أيامنا الحالية الآلاف من علامات الاستفهام. فمن داخلها ولدت التنظيمات السرية وأبيحت الاغتيالات السياسية ومن بطانتها خرج دعاة التكفير الذين أحيوا أفكار الخوارج وحكموا بالموت على من يخالفهم ويكفرون الحكام والمحكومين ويبشرون بعالم مثالى لا مكان فيه للخطيئة ولا الخطاة..

ورغم المسئولية التاريخية التى يتحملها الإخوان المسلمون من خروج أئمة التطرف والتحريض من تحت عباءتهم، إلا أن توجيه الاتهام إليهم جميعاً يحمل كثيراً من التحامل عليهم، فكثير من أتباعهم بهرتهم الدعوة بالموعظة الحسنة وآخرون عندما رأوا الدماء تسيل هالهم العنف وخرجوا من الجماعة نابذين العنف والدماء، وغيرهم عرفوا أن الطريق إلى السلطة والسلطان لن يأتى إلا كلما ازدادت الجماعة قوة وتأثيراً.. ولم يكن مقدراً لجماعة الإخوان المسلمين أن تبلغ هذا الحال إلا بفضل حسن البنا؛ برغم خلافاته مع أصدقائه وأعدائه؛ إلا أنه كان ذا شخصية فطنة غير عادية أسس الجماعة بالقوة والإصرار والعزيمة والصبر وسار على قدميه آلاف الكيلومترات يدعو ويخطب ويحفظ فى المساجد ومنازل الأعيان وأحياء الفقراء، لم يترك قرية فى مصر إلا وذهب إليها داعياً، وهو ما جعل لديه اتصالاً مباشراً بأتباعه، وأسهم هذا فى ولائهم الكامل له وانصياعهم لما يراه؛ وازداد نجاح البنا وازداد معه الأعضاء المنتسبون إلى الجماعة التى سعى لتكوينها ماشياً وراكباً.. مرتبطاً بكل عضو فيها عالماً بأحوال قراهم وحياتهم ومجتمعاتهم وعائلاتهم مما جعل نفوذه عليهم هائلاً.

وشهد أنه حقق نجاحاً كبيراً ولم تعد الإسماعيلية تلك المحافظة الهادئة الصغيرة تتناسب مع طموحاته كزعيم يلتف من حوله الأتباع، فكان قراره عام ١٩٣٢ بالانتقال إلى القاهرة وانتقلت معه قيادة الجماعة كلها، وأصبح منزله فى

حارة نافع المتفرعة من شارع السروجية هو مقر الجماعة، واتفق مع قادته على إصدار جريدة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية واختير الشيخ محب الدين الخطيب مديراً لها ثم أصدروا "النذير" فى عام ١٩٣٨ ثم الشهاب فى عام ١٩٤٧.

وأصبحت معتقدات الجماعة وأفكارها شديدة الوضوح وبمثابة الدستور الذى يجب على الإخوان اتباعه بلا مناقشة، فالإخوان يؤمنون بالإسلام عقيدة تحكم توجهات المسلمين ومنهجاً شاملاً وينادون بإقامة الدولة الإسلامية التى تسعى لإعلاء كلمة الله فى الأرض ويوضح حسن البنا ذلك بقوله (الإسلام عبادة وقيادة ودين ودولة وروحانية وعمل وصلاة وجهاد وطاعة وحكم ومصحف وسيف ولا ينفك واحد من هؤلاء عن الآخر) ووصف البنا طبيعة الإخوان بقوله (إن الإخوان المسلمين دعوة سلفية وطريقة سنية وحقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية ورابطة علمية وثقافية وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية).

وأوضح البنا أن للإخوان سمات تميزهم وتؤكد طبيعتهم وهى:-

البعد عن مواطن الخلاف البعد عن هيمنة الأعيان والكبراء البعد عن الأحزاب والهيئات العناية بالتكوين والتدرج فى الخطوات إيثار الناحية العلمية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات ?شدة الإقبال من الشباب ?سرعة الانتشار فى القرى والبلاد.

ويذكر البنا أن دعوة الإخوان تختص بأنها ربانية لأن الأساس الذى تدور عليه أهدافنا أن يتقرب الناس إلى ربهم.

وأنها عالمية لأنها موجهة إلى الناس كافة، لأن الناس فى حكمها أخوة أصلهم واحد لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير وفضل وإنها إسلامية لأنها تنتسب إلى الإسلام.

ولكى ينتمى الأخ لجماعة لابد أن يمر بعدة خطوات لازمة:-

أن يبدأ بإصلاح نفسه حتى يكون قوى الجسم وأن يكون متين الخلق مثقف الفكر قادراً على الكسب سليم العقيدة، صحيح العبادة.

أن يحافظ على تكوين البيت المسلم بأن يحمل أهله على احترام فكرته

والمحافظة على آداب الإسلام فى كل مظاهر الحياة المنزلية.

أن يقوم بنشر الدعوة فى المجتمع ومحاربة الرذائل والمنكرات.

أن يعمل على تحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبى غير إسلامى، سياسى أو اقتصادى أو روحى.

إصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق.

إعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية بتحرير أوطانها وإحياء مجدها.

وقد أعلن حسن البنا عن أهداف جماعته فى رسالته "بين الأمس واليوم" وقال فيها: "أيها الإخوان.. أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزباً سياسياً ولا هيئة موضعية لأغراض محدودة المقاصد، ولكنكم روح جديدة تسرى فى قلب هذه الأمة فيجيبه بالقرآن، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله، وصوت داوٍ يعلو مردداً دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن الحق الذى لا غلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا للعب بعد أن تخلى عنه الناس، إذا قيل لكم إلام تدعون؟ فقولوا ندعو إلى الإسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والحكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضه، فإن قيل لكم هذه سياسة فقولوا هذا هو الإسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام وإن قيل لكم أنتم دعاة ثورة، فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به فإن ثرتم علينا وقفتم فى طريق دعوتنا، فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين"..

وبعد أن عقد الإخوان المسلمون ثلاثة مؤتمرات كان أولها عام١٩٣٣؛ وكان الهدف منه مواجهة نشاط البعثات التبشيرية المسيحية، والثانى فى أواخر عام ١٩٣٣ وأعلن فيه إنشاء مطبعة الإخوان وإصدار الصحف، أما الثالث الذى عقد عام ١٩٣٥ فكان أخطرها على الإطلاق؛ وقد ناقش التنظيم الإدارى للجماعة وترك المجتمعون لفضيلة المرشد العام تحديد مهمة الهيئات التى تم الاتفاق عليها بعد أن حددت بأنها المرشد العام ومكتب المرشد العام ومجلس الشورى الذى يتكون من نواب المناطق ونواب الأقسام ونواب الفروع ومجالس الشورى المركزية ومؤتمر المناطق ومندوبى المكاتب وفرق الرحلات وفرق الأخوات؛ وبداية وضع

اللبنة الأولى لتأسيس الجهاز السرى للإخوان بتشكيل فرق الجوالة.

وبذلك أصبح حسن البنا هو السلطة ومركزها، وهو الوحيد صاحب القرار، وأصبحت كل الأعمال تنسب إليه؛ وهو المرجع والمرجعية وصاحب الكلمة الأخيرة ولا يحق لأحد أن يكون له رأى مستقل فالرأى رأيه وهو ما جعله لا يتنازل تحت أى ظرف من الظروف عن سلطاته حتى لو تعلق الأمر بصديق عمره ورفيق دربه "أحمد السكرى"؛ الذى عارضه وكتب فى ذلك مقالات فى الصحف بعد أن اعترض على اتجاه الجماعة للعمل فى السياسة.

وفى عام ١٩٣٦ عقد المؤتمر الرابع من أجل الاحتفال بتتويج الملك فاروق؛ وشهد ذلك العام أيضا تشكيل "فرق الجوالة" من مجموعات من الشباب تدين بالطاعة والولاء الشامل للمرشد العام وتمارس التمرينات الرياضية بانتظام وكانت تلك الفرق تتدرب بدقة ونظام لتحقيق الهدف الأول للجماعة وهو الخلافة الإسلامية؛ وهو ما أعلنه البنا بنفسه فى الاحتفال بالعيد العاشر للجماعة بأن "الإخوان يعطون الأولوية لاسترداد الخلافة وأن ذلك لابد له من الاستعداد ليتم على درجات تبدأ بالتعليم والتعاون الاجتماعى والاقتصادى بين الشعوب الإسلامية ثم بالمعاهدات والاجتماعات.

وفى عام ١٩٣٧ تم تأسيس الكتائب المسلحة بعد أن جمع السلاح وتم تنظيم الجهاز الخاص المسلح وتم خضوع أفراده خضوعاً كاملاً لحسن البنا تحت مفهوم الطاعة الكاملة؛ وخضعوا لنظام شديد الصرامة لإخراج مجاهد مثالى يقيم الليل ويتعبد ويتدرب على السلاح ويصبح مستعداً فى أى لحظة لتنفيذ الأمر؛ وسنلاحظ أن المنهج الذى اتبعه البنا فى سيطرته على أبناء الكتائب هو نفس المنهج الذى اتبعه الحسن بن الصباح فى إحكام قبضته على الفدائيين الأتقياء الأطهار الذين وهبوا أرواحهم ونفوسهم وأجسادهم فى سبيل خدمة سيدهم ومعتقداته والتى ستصل بهم إلى الجنة.

وفى المؤتمر الخامس الذى انعقد عام ١٩٣٩ أكد الإطار الفكرى للجماعة، إلى جانب بحث مستقبل الجماعة تحت مسمى حياة جديدة والإعداد لمرحلة التنفيذ

الفعلى لخطط الجماعة خاصة بعد أن واجه البنا ضغوطاً من الشباب للتحرك من أجل الكفاح والنضال.

وفى عام ١٩٤١ عقد المؤتمر السادس الذى ناقش إمكانية دخول الجماعة للترشح فى الانتخابات البرلمانية؛ وكشفت تلك الخطوة عما كان يطمع إليه البنا منذ اللحظات الأولى لتكوين الجماعة؛ وهو خوض غمار السياسة التى كان كثيرا ما يعاقب أتباعه على انتماءاتهم السياسية فلا مرجعية لديه إلا للجماعة وله بصفته المرشد العام؛ أما ما قام به من أفعال فأوضحت تماماً رغبته فى العمل السياسى ولما يصبو إليه من الوصول إلى السلطة والحكم، خاصة بعد أن أعلن البنا عن ترشيح نفسه عن دائرة الإسماعيلية منطقة نفوذه وأول أرض شهدت تأسيس حركته، وما إن تم إعلان البنا عن الترشح استدعاه النحاس باشا وطلب منه الانسحاب وفى مناورة سياسية بارعة استجاب البنا فى مقابل الحصول على مكاسب للجماعة كان منها حرية الحركة للجماعة إلى جانب وعد بالتزام الحكومة باتخاذ الإجراءات لفرض قيود على الخمور والدعارة.

وكبرت الجماعة وازداد نفوذ حسن البنا، ذلك الرجل القوى الذى أصبح لديه دولة داخل الدولة فجماعته لها قانونها ودستورها ورجالها وأيضاً جيشها المسلح، الذى أصبح يضج ويتذمر من البطالة، فرغم اشتراكهم فى العديد من العمليات الفدائية ضد الاستعمار الانجليزى إلا أن ذلك لم يكن كافياً.. فبعد اكتمال الشكل التنظيمى للجماعة كان لابد أن تسعى للقفز على العرش وتستولى على السلطة، فرغم أن المؤتمر الرابع الذى عقد عام ١٩٣٦ كان للاحتفال بتتويج الملك فاروق إلا أن نفس الجماعة بعد ذلك بسنوات قليلة بدأت تعلن أن البيعة أساس الحكم وليس الوراثة مما أصبح تهديداً واضحاً للعرش واستعراضاً أكثر وضوحاً للقوة؛ وكان من الطبيعى أن ترتفع الأصوات المعارضة التى تحذر من خطورة الجماعة التى لا تكتفى بالدور الدعوى بل لها طموحات سياسية وسلطوية .. ولم تكتف الجماعة بمجرد التصدى لهذه الخلافات وإنما كان لها ردود عملية أثارت الرعب والخوف لفترة طويلة، وبدأ البنا يعمل على التخلص من منافسه الوحيد.

وفى الشهور الأخيرة عام ١٩٤٧ اهتزت الجماعة بعد أن عقدت الهيئة التأسيسية للإخوان المسلمين اجتماعها العادى وأقرت عدة قرارات كان أخطرها على الإطلاق القرار رقم "٥" بالموافقة التامة على قرار المرشد العام بإعفاء الإخوان محمد عبد السميع الغنيمى أفندى وسالم غيث أفندى وأحمد السكرى أفندى من عضوية الجماعة بناء على تفويض الهيئة للمرشد واستندت الهيئة فى قرارها لما تعرفه من تصرفات الأستاذ أحمد السكرى قبل الإعفاء وبعده، ولذلك فقد قررت وبالإجماع اعتباره ناقضاً للعهد، حانثاً لليمين، خارجاً على الجماعة، محارباً للدعوة، وكذلك كل من اتصل به أو ناصره.

بكل بساطة تخلص البنا من صديق شبابه ورفيق كفاحه وصاحب العمر، ولكنه فى نفس الوقت كان يقاربه فى القامة والمكانة كان السكرى بمثابة الزعيم السياسى للإخوان المسلمين لديه علاقات وتوازنات مع كافة القوى السياسية؛ وكان لديه المقدرة على قول كلمة لا للبنا؛ وكان يرفض ديكتاتورية البنا وانفراده بالقرار.. ولم تشفع له لدى البنا سنوات الكفاح وصداقة العمر بعدما أنهى البنا علاقة السكرى بالجماعة بجرة قلم.. فلم يتحمل البنا موقف السكرى المعارض له من قضية اتهم فيها صهر البنا؛ عبد الحكيم عابدين؛ وأظهرت التحقيقات الداخلية للجماعة إدانة صهر البنا .. ولم يعترف البنا بتلك النتائج وتغاضى عنها ليبقى أن السكرى عارضه وأصر على قول الحق.. وأصر على أن يقف أمام الرجل الذى تربع على القمة وجمع كل مقاليد الأمور فى يده.. فهو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة ولن يقف أحد أمامه.. حتى ولو كان أحمد السكرى.. فالقمة ضيقة ولا تحتمل أن يقف فوقها سوى شخص واحد.. هو حسن البنا.

وشعر السكرى أمام تلك الصدمة التى أصابته أنه لابد أن يوضح موقفه وأن يتحدث، فكتب مقالة فى جريدة صوت الأمة بتاريخ ١١/١٠/١٩٤٧ بعنوان "وكيل عام الإخوان المسلمين يفضح تآمر الشيخ حسن البنا" قال فيها:

"وكأنى بك أيها الأخ قد شعرت بما أنت فيه من صيت زائل، ومن عز الدنيا وإقبال أهلها عليك، فأحسست بالغنى؛ والغنى الحقيقى بالله لا بالناس؛ فأردت أن

تبطش بأخيك الذى عاش معك أكثر من ربع قرن: عرفك بالمحمودية وأنت لم تتجاوز الرابعة عشرة من عمرك، واستعان بك أول الأمر فى الدعوة المباركة، حتى إذا ما صلب عودك وأتممت دراستك وزاولت عملك بالإسماعيلية وأنشأت بها شعبة أخرى وفتح الله لكما القلوب وتعددت فروع الجماعة، آثرك على نفسه وبايعك على الرياسة وطلب إلى الناس أن يبايعوك: ولقد كنت أفهم يا أخى لو لم تسيطر عليك العناصر المغرضة وتضغط على يدك لتقطع يمينك بنفسك أن يفضى هذا الخلاف فى الرأى إلى أن نحتكم إلى إخواننا فى الله، أصحاب الدعوة والمضحين فى سبيلها ليقضوا بيننا بروح الإسلام ومنهاج القرآن، أما أنك تستبد وحدك بالأمر وتنتزع ممن حضر من إخوان الهيئة التأسيسية يوم ٩ يوليو الماضى رغم معارضة ذوى الرأى منهم تفويضاً بإقصاء من تشاء وفصل من تشاء هرباً من التحكيم وفراراً من مواجهة الموقف ودون تمكين من تتهمه أو يتهمك بإبداء الرأى والدفاع عن نفسه فان هذه ديكتاتورية يأباها الإسلام وتأباها الشرائع والقوانين وتتنافى مع المنطق والخلق، وإن خلت أن مبايعة الإخوان لك تقتضيك التصرف الفردى فى شئون الدعوة وشئونهم، فإن الحق يرد عليك فى ذلك بأن البيعة هى فى حدود ما أنزل الله وما رضى عنه، لا فى تحكيم الهوى والخروج على مبادئ ومسايرة أهل الدنيا؛ على حساب الدعوة وأبنائها المخلصين وتقدمت إليك بالدواء أرجو به الإنقاذ والشفاء فأخذتك العزة وأشحت بوجهك وقربت إليك أهل الفساد؛ ورحبت بالدعوة فى أحضان السياسة، وضحيت بأهل الرأى والإخلاص والسداد وإذا بك يا أخى لا تبالى بصيحات الأحرار بل عملت على إقصائهم الواحد تلو الآخر ولم تبال كذلك بما نسب من المسائل الخلقية إلى بعض من صورتهم للقيادة بالإرشاد بعد أن ثبت ما ثبت واعترفت أنت بما وقع ولم تكن هذه المسائل الخلقية وحدها بيت الداء، بل وجدت الدسائس والفتن الداخلة والدعايات الباطلة ضد الأحرار وارتباك النظم وفساد الإدارة مرتعاً خصيباً داخل صفوفنا فإذا ما أضفنا إليها أمرين رئيسيين لاستطعنا أن ندرك سر ما وصلنا إليه من تدهور واضطراب، لا يخفيه هذا الطبل الأجوف والدعايات الفارغة التى تمتلئ بها

الجريدة كل يوم.

أما هذان الأمران فهما:-

- دخول بعض العناصر الانتهازية المأجورة فى صفوفنا بإيعاز من رجال السياسة.

- الإغراق فى السياسة الحزبية تبعاً لذلك إغراقاً تاماً وتقلبك فى هذه السياسة وتناسى أهدافنا السامية مما جعلنا موضع مساومة الجميع ولا أظننى فى حاجة إلى أن أذكرك؛ ولو على سبيل الإيجاز بما وصلت إليه أسهم الإخوان من الانحطاط عقب تولى صدقى باشا الحكم بسبب تغلب هذه العناصر النفعية عليك فى مهادنته ومسايرته، وما كان من سخط الناس علينا واشتباكنا بعد ذلك مع الوفديين فى بور سعيد وغيرها؛ ثم طلبك لى بإلحاح أن أسافر إلى الإسكندرية للتفاهم مع الوفديين وذهابك بنفسك مع أحد الإخوان إلى منزل أحد أقطابهم ليلاً لتعرض عليه التعاون معهم لكف حملاتهم ثم تغلب العناصر النفعية عليك ثانية لنقض هذا التفاهم وإذكاء الفتنة والحرب الأهلية بيننا وبين الوفد إرضاء للحكومة القائمة ثم سارت الأمور من سيئ إلى أسوأ، فكونت اللجنة السياسية المعروفة ووقفت فى سبيلك أمنعك من هذا التصرف المشين، ثم اكتشافى عن طريق الصدفة لاتصالاتك ببعض الشخصيات الأجنبية والمصرية وهالنى ما حدثنى عنه أحدهم يوم٧ فبراير ١٩٤٧".

ولم يتوقف أحمد السكرى عن كشف حسن البنا فنشر فى نفس الجريدة "صوت الأمة" بتاريخ ١٤/١٠/١٩٤٧ ليقول فى مقال بعنوان "بيان إلى الإخوان المسلمين":

(أيها الإخوة الأحرار .. سارت دعوتكم على بركة الله وتوفيق منه على أساس من الهدى والنور، عشت فيها مع أخى فى الله الأستاذ حسن البنا سبعة وعشرين عاماً كاملاً كما تعلمون؛ عرفته صغيراً واستعنت به فى الدعوة شاباً، آثرته على نفسى سعيداً راضياً، وكنت له براً وافياً، أنكرت نفسى ليظهر وأخفيتها ليرتفع فمن الذى قطع ما أمر الله به أن يوصل أيها الإخوان ومن الذى بدأ بالظلم

والعدوان وكيف خرج عن الصراط واسألوه لماذا غضب حين أمره أخوه بالمعروف فعزله، ولماذا ثار حين نصحه أخوه ففصله، ثم اسألوه أيها الإخوان عن بيانه الذى رد به على خطابى.. هل فند الوقائع التى أشرت إليها واقعة واقعة وأسندتها بالتواريخ وتحديته بالدليل والبرهان، أم اكتفى بهذه التغطية والتعمية والإيهام متعمداً غمزى ولم يستطع؛ ولن يستطيع.

يدعى أخى علىّ ظلماً؛ فهل يجسر فضيلته أن يعلن تصرفات حدثت منى تضر بالدعوة والداعين إن كان من الصادقين؟!"

واشتعلت أزمة أحمد السكرى؛ الصديق المقرب لحسن البنا الذى قال عنه فى يوم من الأيام وهو يصف علاقته به فى بداية شبابه: "فقد كانت الصداقة بينى وبين أحمد أفندى السكرى قد توثقت أواصرها إلى درجة أن أحدنا ما كان يصبر أن يغيب عن الآخر طوال هذه الفترة أسبوعاً كاملاً دون لقاء" وكان يصف عودته إلى قريته بعد قضاء الأسبوع المدرسى فى دمنهور.. نسى البنا كل سنوات الصداقة أمام الانفراد بالقمة والقرار.. خاصة بعدما قوى الجهاز السرى لجماعته؛ الذى كان قد تحرك وأعلن عن قوته عام ١٩٤٦ فتم تدمير أجزاء من مبانى سينما مترو وميامى باستخدام القنابل، وفى عام ١٩٤٨ تم اكتشاف ١٦ قنبلة ومجموعة من الأسلحة فى بقعة منعزلة من جبل المقطم، ثم وقع بعد ذلك الحادث الذى كشف عن طبيعة وحقيقة أهداف الجماعة وجهازها السرى بعد أن تم اغتيال القاضى أحمد الخازندار والقبض على الشابين اللذين قاما باغتياله: وهما عضوان بالتنظيم السرى الذى يخضع أفراده جميعاً لتدريبات عالية المستوى إلى جانب إحاطته بالغموض الشديد والسرية.

إلى جانب مجموعة من الطقوس التى كانت تؤهل العضو للانضمام إلى التنظيم، ونرى أن التنظيم السرى للإخوان المسلمين لم يأت بأمر جديد فى ذلك الأمر فطبيعة كل التنظيمات السرية والجماعات التى تعمل تحت الأرض أن تحرص على إحاطة نفسها بأكبر قدر ممكن من الغموض والتعقيد وهى أمور تساهم وتستخدم فى السيطرة على أفراد التنظيم.. فكان على العضو الجديد

الذى سينضم إلى التنظيم السرى أن يقوم بشراء مسدس من ماله الخاص، ثم يستعد للبيعة التى كانت تتم فى أحد منازل الجماعة ويبدأ الطقس بوضع مصحف ومسدس ثم يردد البيعة وراء شخص ملثم لا يعرف شخصيته.. ثم يلقى الملثم بعد ذلك على العضو تهديداً واضحاً يقول فيه (إذا خنت العهد أو أفشيت السر فسوف يؤدى ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك ويكون مأواك جهنم وبئس المصير).

وكان يترأس الجهاز السرى للإخوان عبد الرحمن السندى وقادته مصطفى مشهور، محمود الصباغ، أحمد زكى حسين، أحمد محمد حسين، صالح عشماوى ، د.محمد خميس حميدة، الشيخ محمد فرغلى، د. عبد العزيز كامل، د. محمود عساف.

وكشف هذا الحادث عن طبيعة وحجم الجهاز السرى للإخوان المسلمين؛ حتى أن الشيخ حسن البنا قرر عقد محاكمة داخلية لرئيس الجهاز، وتشكلت هيئة المحكمة من المرشد العام نفسه ومجموعة من كبار قادة الجماعة؛ صالح عشماوى، الشيخ محمد فرغلى، د.خميس حميدة، د. عبد العزيز كامل، محمود الصباغ، مصطفى مشهور، أحمد زكى حسن، أحمد حسين، د.محمود عساف.

وحاكم قادة الإخوان عبد الرحمن السندى الذى دافع عن نفسه قائلاً (بأنه تصور أن عملية القتل سوف ترضى فضيلة المرشد.. ولأن المرشد يعلم أن عبد الرحمن السندى إنسان صادق.. فقد أجهش بالبكاء ألماً لهذا الحادث الأليم).

وجاء الحكم لينص على أنه تحقق الإخوان من أن الأخ عبد الرحمن السندى قد وقع فى فهم خاطئ فى ممارسة غير مسبوقة من أعمال الإخوان، ورأوا أن الحادث يعتبر قتلاً خطأً، لأن عبد الرحمن السندى قال إنه سفك دم نفس بغير نفس، وإنما قصدوا قتل روح التبلد الوطنى فى بعض أفراد الطبقة المثقفة من شعب مصر أمثال الخازندار.

ولم ينته الحكم فى تلك المحاكمة الداخلية عند هذا الحد، وإنما استمروا فى استخدام الدين لخدمة أغراضهم، وبعد تبرئة السندى كان لا بد من تبرئة الخازندار.

وجاء حكمهم: (ولما كان هؤلاء الإخوان قد ارتكبوا هذا الخطأ فى ظل انتمائهم

إلى الإخوان المسلمين وبسببه؛ إذ لولا هذا الانتماء لما اجتمعوا على الإطلاق ليفكروا فى مثل هذا العمل أو غيره فقد حق على الجماعة دفع (الدية) التى شرعها الإسلام كعقوبة على القتل الخطأ (فهم اعتبروا أن قتل الخازندار.. قتل خطأ) ولا بد أن تعمل الهيئة كجماعة على إنقاذ حياة المتهمين البريئين من حبل المشنقة بكل ما أوتيت من قوة، فدماء الإخوان ليست هدراً يمكن أن يفرط فيه الإخوان فى غير فريضة واجبة يفرضها الإسلام).

هكذا وبكل بساطة تم تبرئة القاتلين اللذين أهدرا دم إنسان لأنهما من الإخوان أصحاب الدم الغالى أما الأكثر عجباً فيأتى بعد ذلك.. فحتى الدية التى قرروا أن يتم دفعها حتى تتم التبرئة من دم الخازندار؛ عادوا وتراجعوا عنها وقالوا فيها: (ولما كانت جماعة الإخوان المسلمين جزءاً من الشعب وكانت الحكومة قد دفعت منا يعادل الدية إلى ورثة المرحوم الخازندار بك؛ حيث دفعت لهم من مال الشعب عشرة آلاف جنيه فإن من الحق أن نقرر أن الدية قد دفعتها الدولة عن الجماعة وبقى على الإخوان إنقاذ حياة الضحيتين (محمود زينهم وحسن عبد الحافظ).

ولم تتوقف عمليات الجهاز السرى ليقع انفجار فى شارع فؤاد (٢٦يوليو الآن)؛ ليدمر محلين تجاريين مملوكين ليهود هما شيكوريل وأوركو ثم تبعته تفجيرات فى بنزايون وجاتينيو وشركة الدلتا التجارية ومحطة تلغراف ماركونى والشركة الشرقية للإعلان وأسفرت تلك العمليات عن مقتل عشرات من الناس كان من بينهم مصريون.

وعندما استعد عام ١٩٤٨ ليحمل أيامه الأخيرة ويرحل ترك خلفه الجهاز السرى للإخوان بعد أن اتضحت معالمه؛ فكان له جنوده وأسلحته ومصادر تمويلهم من شركاتهم ومصانعهم.. كانوا قد أصبحوا قوة لا يستهان بها، وكأنهم دولة داخل الدولة. واستشعر القصر الخطر الذى كان يهدده بتنامى قوة الإخوان وجاءت الفرصة السانحة للقصر فى "سيارة جيب".

استعد أفراد الجهاز للقيام بعدة عمليات فقاموا بشراء وتجميع مجموعة كبيرة من الأسلحة والقنابل وأجهزة التفجير ووضعوها فى سيارة جيب اشتروها من

مخلفات الجيش الإنجليزى لاستخدامها لنقل الأسلحة إلى إحدى الشقق فى القاهرة؛ ولعبت الصدفة دوراً أساسياً فى كشف قضية السيارة التى ترتب عليها فيما بعد أحداث شديدة الأهمية فى تاريخ الإخوان.. فعندما توجهت السيارة إلى الشقة التى تقرر أن يتم فيها تخزين حمولتها من الأسلحة والمتفجرات.. وقعت عين "أمينة" صاحب المنزل عليها وكانت مخطوبة لمخبر فى البوليس السياسى.. وشكت فى حمولة السيارة فأبلغت خطيبها الذى سارع بالتحقق من روايتها.. وسارع ركاب السيارة بالهرب مما جعل المخبر يستعين بأهل المنطقة الذين ساعدوه فى القبض عليهم وكانوا أحمد كمال عادل وصلاح شادى ومصطفى مشهور وتم تسليمهم للبوليس؛ وتم ضبط كل أوراق التنظيم السرى وخرائط العمليات التى كانوا ينوون القيام بها ومنها تفجير مطار ألماظة ونسف البنك الأهلى وبعض القصور والجسور والقناطر.

وما إن تم الكشف عن قضية السيارة وركابها وانتمائهم للجهاز السرى للإخوان المسلمين حتى انتهز القصر الفرصة وأصدر النقراشى باشا رئيس الوزراء أمرا بحل جماعة الإخوان المسلمين فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ فما كان من الجماعة إلا أن قامت باغتيال النقراشى باشا أثناء دخوله مصعد وزارة الداخلية؛ وكان مقتل النقراشى باشا بداية جديدة للتعامل مع الإخوان المسلمين حتى من قبل الدولة نفسها ويقول د. عبد العظيم رمضان: "وهنا لجأت السلطة إلى إجراء غريب وهو مقابلة الإرهاب بالإرهاب لقد قبضت على القاتل ولكنها قررت قتل زعيم الجماعة وهو حسن البنا اعتقادا بأن قتله سوف يقضى على الرأس المدبر وكلفت مجموعة برئاسة العميد محمود عبد المجيد مدير المباحث الجنائية بهذه المهمة فقد تمت بالفعل يوم ١٢ فبراير ١٩٤٩ على يد الأمباشى أحمد حسين جاد).

واهتزت جماعة الإخوان بعد مقتل مؤسسها وملهمها الشيخ حسن البنا والذى كان قد تعرض لأزمة نفسية شديدة قبل مقتله بعد أن حوصر فى مقر إقامته وكان عدد كبير من أتباعه فى السجون فأصدر عدة بيانات حاول من خلالها التخفيف من واقع الأحداث التى هددت جماعته التى أفنى عمره وهو يقيم صرحها؛

فأصدر (بياناً للناس) استنكر فيه الشيخ أعمال رجاله ورفاقه ووصمهم بالإرهاب والخروج على تعاليم الإسلام، وكان يقصد بذلك قتلة النقراشى: وما كاد يمر يومان على صدور بيانه الذى لم يلاق ترحيبا لدى أتباعه وازدادت الأزمة بعد أن تم القبض على أحد قادة الجهاز السرى وهو يحاول نسف محكمة استئناف مصر وقيل إن الشيخ حسن البنا بكى عندما علم أن أحد أتباعه هو من قام بهذا العمل، وأصدر بعدها بيانا جديدا قال فيه "ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين".

واستنكر فيه حادث المحكمة وذكر أن مرتكبه لا يمكن أن يكون من الإخوان ولا من المسلمين لأن الإسلام يحرمها والأخوة تأباها وترفضها. وأعلن أن تكرار أى حادث من نوعية هذا الحادث يقع من أى فرد سبق له اتصال بجماعة الإخوان سيعتبره موجهاً إلى شخصه.

وقال ما نصه :

(وأنى لأعلن أننى منذ اليوم سأعتبر أى حادث من هذه الحوادث يقع من أى فرد سبق له اتصال بجماعة الإخوان موجها إلى شخصى ولا يسعنى إزاءه إلا أن أقدم نفسى للقصاص وأطلب إلى جهات الاختصاص تجريدى من جنسيتى المصرية التى لا يستحقها إلا الشرفاء الأبرياء فليتدبر ذلك من يسمعون ويطيعون وسيكشف التحقيق ولا شك عن الأصيل والدخيل ولله عاقبة الأمور).

وبدأ زمام الأمور ينفلت من أيدى حسن البنا فبدأ يظهر بصورة الرجل الذى لا يسيطر على أفعال أتباعه رغم أنه هو الرجل صاحب الكلمة الأولى والأخيرة فى جماعته وصاحب القرار فيها وتذمر رجاله من إنكاره لأفعالهم أمام الرأى العام أما أكثر ما يثير العجب فى تلك الوقائع ما تردد وقتها من أن محاولة نسف المحكمة كانت بعلم وموافقة الشيخ بهدف تدمير الوثائق التى تم ضبطها فى السيارة الجيب.

فقد تم ضبط أوراق مكتوبة بخط اليد تحوى بيانات عن كيفية تكوين تنظيم الجماعة من خلايا؛ وتعليمات عن كيفية تعقب الأشخاص؛ وبيانات عن أماكن بمدينة الإسماعيلية ذكر فيها أقسام البوليس وكيفية نسفها واغتيال ضباطها

وجنودها وقطع الأسلاك التليفونية إلى جانب أوراق عن برامج الدعاية الخارجية والداخلية وأنها تستلزم تعيين مندوبين فى البلدان الخارجية إلى جانب تقارير عن المتاجر التى يمتلكها اليهود فى وسط القاهرة والسفارات الأجنبية.

ومثلما تصاعدت الأحداث بشدة قبل مقتل حسن البنا ازدادت الأمور سخونة بعد مقتله، ويقول المفكر طارق البشرى (كان من الطبيعى مع اغتيال المرشد العام فى فبراير ١٩٤٩ أن تستشعر الجماعة اليتم وأن تظهر الخلافات بين أعضائها وقادتها حول الأهداف السياسية ومناهج العمل).

ووسط كل تلك الأحداث والصراعات والدماء تحرك الجهاز السرى بقيادة د.أحمد الملط ليقوم بضربة تشعر الجميع بأن الجماعة مازالت قوية بمحاولة قتل إبراهيم عبد الهادى باشا رئيس الوزراء الذى خلف النقراشى باشا وتم إعداد كمين لمهاجمته بالأسلحة والقنابل.. وفشل الهجوم وسقط قائد المجموعة مصطفى كمال عبد المجيد الذى اعترف تحت وقع التعذيب بأسماء عدد كبير من أعضاء الجهاز السرى وعرفت هذه القضية (بقضية الأوكار).

لم يستمر قرار وقف الجماعة طويلاً ففى أكتوبر عام ١٩٥١ تم إلغاء قرار حل الجماعة التى كانت شديدة الانشغال بمن يخلف حسن البنا الذى ترك مقتله فراغاً هائلاً فهو مؤسس الجماعة ومرشدها.. صاحب الشخصية الفذة المؤثرة الذى استطاع أن يخرج بالجماعة خارج أروقة المؤسسة الدينية الرسمية لتصبح جماعة شعبية أفرادها من كافة طبقات الشعب؛ وينتمى أبناؤها إلى كافة الطبقات؛ وهو ما أدى إلى خلق طبقية داخل الجماعة ولكنها كانت طبقية فكرية أدت إلى وجود معلومات وأهداف للعامة وأخرى للخاصة. ويظل الشيخ حسن البنا شخصية غير عادية وعقلاً هائلاً استطاع أن يسيطر على عقول الآلاف، وبالدين خاض بحور السياسة.. تحالف وتخاصم.. أباح دماء وانتحل الأعذار مستخدماً كلمات رقيقة وأسباباً واهية يقبلها منه الأتباع بدون مناقشة وتحت راية المجتمع الإسلامى المثالى كان حلم الوصول إلى السلطة هدفاً مر على دعاوى محاربة المحتل وقتالهم وتفجير المبانى والمنشآت وقتل من يخالفونه فى الرأى والفكر تحت

دعوى أنهم أعداء الإسلام. وترك الشيخ بعد مقتله صراعاً جديداً على منصب المرشد العام حسم فى نهاية الأمر لصالح حسن الهضيبى القريب من الملك؛ وهو ما أشار إليه المفكر طارق البشرى.

"وعملت السراى على أن تستغل التنافس داخل الجماعة بين المرشحين للزعامة لتستطيع أن تفرض عليها مرشداً يضمن وجوده تحسين العلاقات مع السراى ثم انصياع الجماعة لها فى تنفيذ أهدافها".

وهو ما تحقق بالفعل ففى ١٤ نوفمبر ١٩٥١ ذهب الهضيبى لزيارة الملك فى سيارة ملكية؛ واستمر اللقاء بينهما خمساً وأربعين دقيقة بناء على دعوة الملك وكانت كلمات الهضيبى بعد اللقاء معبرة عن ولائه لمصر والملك.

وفى ١٦ يناير سنة ١٩٥٢ هنأ الهضيبى الملك بمولد ولى عهده أحمد فؤاد ودفع ذلك التقارب "ريتشارد فيشن" فى كتابه عن الإخوان المسلمين إلى القول بأنه "نظراً للوضع الخاص للهضيبى كزعيم رسمى للإخوان فإن لقاءه بالملك كان حديثاً يدعو إلى التشاؤم إذ لم يكن مجرد تعبير مناقض تماماً للشعور العدائى التقليدى الذى يكنه الإخوان للقصر، بل تطابق أيضا مع إصرار الملك المتزايد على مناهضة الوفد ومن ثم بطريق مباشر مناهضة الحركة الوطنية وقد تعزز الرأى عندما بعث الهضيبى برسالة تهنئة لحافظ عفيفى فى ٢٤ ديسمبر بمناسبة تعيينه رئيساً للديوان الملكى وجاء هذا التعيين خطوة رأت فيها الحركة الوطنية إشارة لاتجاه نية الملك إلى وضع حد لنشاطها وفى داخل الجماعة بلغ السخط مداه على هذا التعيين وعلى مباركة الهضيبى).

ولم تمر شهور قليلة إلا وقامت ثورة يوليو وكان ضباطها الأحرار قبل ذلك بسنوات قد أقاموا علاقات وطيدة داخل الجهاز السرى للإخوان وعلى رأسهم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فهم كانوا قد أدركوا ومنذ البداية حجم وقوة تأثير الجماعة على الشارع فلم يكن من الممكن تجاهل مثل هذه القوى فى ظل وجود مواجهة مع محتل أجنبى وقوى سياسية مختلفة على الساحة ومع كل العلاقات السابقة ما بين الضباط الأحرار والإخوان المسلمين إلا أن موقفهم من

تأييد الثورة التى انتفضت لطرد المحتل والتخلص من حكم الملك كان شديد الغموض، فقد اختفى المرشد العام حسن الهضيبى فى شقته بالإسكندرية لمدة شهرين ولم يعلن تأييده للثورة إلا بعد خروج الملك من مصر. وبدا هذا التصرف مقدمة لعلاقة تبشر بمزيد من الشد والجذب ومحاولة الجماعة إيجاد مكان ووضع يفرضونه هم ولا يكتفون بالحصول على ما تقدمه لهم الثورة ورجالها.

ورغم ما بادرت به الثورة لخلق علاقة من التعاون والانسجام بينهم وبين الجماعة كقوى سياسية خاصة بعد رسالة الشيخ عبد الرحمن البنا والد الشيخ حسن البنا بعدما خطب فى المسجد بين الجماعة قائلاً لهم: "أيها الإخوان اليوم تحققت رسالتكم إنه فجر جديد بالنسبة إليكم ويوم جديد. فاستبقوا الفجر أيها الإخوان. شدوا من أزر نجيب وأعينوه بقلوبكم ودمائكم وأموالكم وكونوا جنوده".

فما كان من رجال الثورة إلا أن ردوا بمجموعة من القرارات إثباتاً لحسن النية ولتجميع القوى الداخلية فتم إلغاء البوليس السياسى من وزارة الداخلية وأعيد التحقيق فى قضية مقتل البنا وتعيين رشاد مهنا كواحد من الأوصياء الثلاثة على العرش والإفراج عن المعتقلين السياسيين للإخوان.

ورغم تلك الإجراءات التى بدت وكأنها رسالة سلام ما بين النظام الجديد والجماعة إلا أنها كانت تجعل منهم مجرد مشاركين وليسوا أصحاب السلطة الفعليين، وهو هدفهم الأول وظهر ذلك بوضوح بعد لقاء حسن الهضيبى مع الرئيس جمال عبد الناصر والذى حدد فيه المرشد شروطه من تأسيس الحكم على أساس إسلامى وأن تقوم الثورة بتطبيق أحكام القرآن وفرض الحجاب وإلغاء دور السينما وعدم إقرار قانون الإصلاح الزراعى وجاء رد الرئيس جمال بأن الثورة قامت ضد الظلم والاستبداد السياسى والاجتماعى والاستعمار البريطانى وبذلك تعد تحقيقاً وتطبيقاً لأحكام القرآن.

وكانت نتائج اللقاء إيذانا لبدء مرحلة جديدة ما بين الجماعة والثورة، ووضعت النقاط فوق الحروف فالجماعة لن تحكم والثورة لن تسمح لهم بالمشاركة إلا فى الحدود التى ستضعها هى.

ولم يقف رجال الثورة عند نتائج هذا اللقاء وإنما أطلقوا بادرة أخرى لتحسين العلاقة بينهم وبين الجماعة .. فاتخذوا عدة قرارات منها إلغاء دستور سنة ١٩٢٣ وتأجيل الانتخابات البرلمانية محل الأحزاب والهيئات السياسية ومصادرة أموالها ما عدا الإخوان المسلمين باعتبارها منظمة دينية خاصة ولم يقف الأمر عند هذا الحد فى محاولات الثورة لاستقطاب الجماعة، وإنما قرر مجلس قيادة الثورة إشراك بعض أعضاء الجماعة فى الوزارة بشرط ألا يكونوا من أعضاء الجهاز السرى للإخوان ولم يسبق لهم الاشتراك فى أعمال إرهابية ورشح الإخوان مجموعة من الأسماء من بينهم صلاح شادى وكمال عبد الرازق ومنير الدلة وحسن العشماوى ولم يوافق مجلس قيادة الثورة على تلك الأسماء واختاروا بدلاً منهم الشيخ أحمد حسن الباقورى وعبد العزيز باشا على وأحمد حسنين.

ورفضت الجماعة ترشيحات المجلس وظهر الخلاف واضحًا واتخذ المرشد العام موقفاً رافضاً وعدائياً من الثورة ورجالها؛ مما جعل الثورة تلجأ هى أيضاً إلى اتخاذ مواقف شديدة الصرامة تثبت من خلالها أنها صاحبة اليد العليا؛ وبدأ الصدام عندما تمت إقالة رشاد مهنا من مجلس الوصاية على العرش ثم اعتقاله بعد ذلك بعد مطالبته بضرورة إعلان دستور إسلامى، ثم جاء إعلان الثورة بقيام هيئة التحرير كحركة شعبية وكبديل للأحزاب السياسية التى تم إلغاؤها ما جعل الجماعة ترفضها لأنها لم تر لها داعيا فى ظل وجودها.. وجاء اتصال الإخوان بالسفارة الإنجليزية وإجراء محادثات معها حول الأوضاع الجديدة فى مصر. ورغم أن الإخوان قاموا بإبلاغ السفارة عن طريق حسن العشماوى الذى قام بإبلاغ الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر عن طلب مستر إيفانز المستشار بالسفارة البريطانية الاجتماع بالإخوان وتم الاجتماع بعد أن رشح المرشد العام منير الدلة المستشار بمجلس الدولة وصالح أبو رفيق المستشار بالجامعة العربية للقاء مستر إيفانز الذى كان يسعى لمعرفة موقف الإخوان المسلمين كقوة شعبية من طلب الحكومة بجلاء الإنجليز وبعد الاجتماع التقى جمال عبد الناصر بالمرشد يوم ٢٥/٣/١٩٥٣ وشرح المرشد وجهة نظره فى أنه

يرى ضرورة التمسك بانتهاء معاهدة ١٩٣٦ وأن الأمر لا يحتاج إلى معاهدة جديدة مع بريطانيا".

وساهم موقف المرشد العام والجماعة فى مسألة اتفاقية الجلاء ورفضهم لها فى ازدياد الهوة بينهم وبين مجلس قيادة الثورة وتحديدا الرئيس جمال عبد الناصر إذ إنه اعتبر موقفهم معارضة لتوقيع اتفاقية الجلاء والتى كانت نقطة هامة فى ملف الثورة الجديدة تؤكد فيها وجودها وقوتها أمام الشعب.

وازداد الوضع سخرية عندما حدثت اشتباكات بين طلاب الجامعة من أعضاء الإخوان وبين أعضاء القوى الجديدة المنتمية لهيئة التحرير.. ففى صباح ١٢ يناير سنة ١٩٥٤ احتشد الطلبة المنتمون للإخوان لإقامة احتفال بذكرى المنسى وشاهين فى جامعتى القاهرة والإسكندرية، ووصل إلى الجامعة أفراد منظمات الشباب من طلبة المدارس الثانوية ومعهم ميكروفون مثبت على سيارة للاحتفال بذكرى الشهداء؛ وبدأت التحرشات ما بين الجانبين واشتعل الموقف عندما اقتحم الإخوان الاجتماع حاملين على أكتافهم (نواب صفوى) زعيم فدائيين إسلاميين فى إيران وصعد إلى المنصة وألقى كلمة وهتف طلبة الإخوان هتافهم (الله أكبر ولله الحمد) ورد عليهم طلبة منظمة الشباب (الله أكبر والعزة لمصر) وشعر طلبة الإخوان بالضيق لوجود هتاف يقابل هتافهم، وهو ما يعنى أن هناك قوة أخرى يمكن أن تنافسهم فهاجموا طلبة منظمة الشباب واشتبك الجانبان معاً واشتعلت معركة حامية تم تفريقها فيما بعد. ولم تمر إلا عدة ساعات قليلة على أحداث الجامعة حتى أصدر مجلس قيادة الثورة بالإجماع باستثناء محمد نجيب قراره بحل جماعة الإخوان المسلمين فى ١٣ يناير ١٩٥٤ وأصدر مجلس قيادة الثورة بيانا شرح فيه الأسباب التى دعتهم لاتخاذ قرار حل الجماعة؛ ونصه: (نحن نعلن باسم هذه الثورة التى تحمل أمانة أهداف هذا الشعب أن مرشد الإخوان ومن حوله قد وجهوا نشاط هذه الهيئة توجها يضر بكيان الوطن ويعتدى على حرية الدين؛ ولن تسمح الثورة أن تتكرر فى مصر مأساة رجعية باسم الدين؛ ولن تسمح لأحد أن يتلاعب بمصائر هذا البلد لشهوات خاصة؛ مهما كانت دعوته؛ ولا أن يستغل

الدين فى خدمة الأغراض والشهوات وستكون إجراءات الثورة حاسمة؛ وفى ضوء النهار وأمام المصريين جميعاً والله ولى التوفيق). مذيل البيان بتوقيع مجلس قيادة الثورة.

وحفل البيان بكثير من الأسباب التى دعت مجلس قيادة الثورة إلى حل الجماعة وتم اعتقال المرشد العام حسن الهضيبى و٤٥٠ عضواً بالجماعة .

ولم تكن تلك الاعتقالات هى ذروة الحدث؛ وإنما ازدادت الأحداث سخونة بعد أحداث ميدان المنشية بالإسكندرية وهو ما يعرف (بحادث المنشية) ومحاولة اغتيال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.. ومازال ذلك الحادث مثاراً لآلاف التحليلات والتعليقات وشهادات الشهود ومازال حتى الآن يكتنفه الغموض الشديد.. فهل حاول الإخوان فعلا اغتيال جمال عبد الناصر؟! وهل تمت المحاولة فعلاً بعيداً عن المرشد العام؟ وهو ما يعيد الأذهان إلى قوة وسيطرة الجهاز السرى للإخوان وتضارب القرارات وسيطرة الجانب المسلح على الجانب الروحى والفكرى فى الجماعة.. ومنذ أن وقع الحادث سارع الإخوان إلى إعلان أنه تمثيلية كان الغرض منها الفتك بالإخوان وإطلاق يد النظام فى إنهاء وجودهم من على الساحة، خاصة أن تدبير الحادث لا يتفق مع براعة الإخوان وما خاضوه من معارك فى حرب فلسطين.

ويقول جابر رزق فى كتابه "مذابح الإخوان فى سجون ناصر": (لقد قال قائد الجهاز السرى للإخوان بمدينة الإسكندرية أثناء التحقيق معه وأمام المحكمة التى حاكمته إنه لو طُلب منه نسف المنطقة كلها لنسفها لأن تحت يده الإمكانيات الكبيرة ولم يكن جهاز الإسكندرية ينقصه الرجال حتى يحضر محمود عبد اللطيف إلى الإسكندرية لتنفيذ العملية).

ويؤكد ذلك الرأى عباس السيسى أحد قادة الإخوان حول حادث المنشية: "أما عن الناحية الفنية فإنه من المعلوم أنه كان هناك (تنظيم خاص) للإخوان المسلمين وهو أمر معروف لدى جمال عبد الناصر وقادة الانقلاب؛ وهذا التنظيم كانت له

قيادات فى كل البلاد وكان فى الإسكندرية تنظيمها الخاص فلو كان الإخوان المسلمون يريدون اغتيال عبد الناصر؛ وهم بلا شك كانوا يقدرون ويدركون خطورة الفشل فى هذا الأمر.. وخطورته على الدعوة وخطورته على الجماعة؛ خاصة وقد أدركوا خلال الأشهر السابقة تربص عبد الناصر بهم وأنه يريد أن يتخلص منهم بشكل أو بآخر. فلو كانوا حقا يريدون التخلص منه لكان التنظيم الخاص بالإسكندرية أولى بالعملية؛ ولأعدوا له الإمكانيات والاحتياطات التى تضمن لهم تحقيق هدفهم؛ فليس من المعقول أن تكون هذه التمثيلية الهزلية خطة جماعة منظمة لها تاريخها العسكرى فى فلسطين؛ وعلى ضفاف القناة وفيها القادة الذين دوخوا قوات الاحتلال الصهيونى والبريطانى واستطاعوا أن يحققوا انتصارات أذهلت قوى العالم أجمع.. هل يتصور عقل أن يضع الإخوان المسلمون خطة اغتيال لجمال عبد الناصر بمسدس على بعد ٢٠ مترا كما قيل فى التحقيق! وهل يستطيع إنسان أن يضمن التصويب وسط الجماهير الغفيرة!! لو أراد الإخوان اغتيال عبد الناصر لأعدوا للأمر عدته وقدروه قدره؛ ولما جاءت العملية هزلية بهذا الشكل لقد كان تنظيم الإسكندرية عنده من الأسلحة والمتفجرات ما يمكنه من تدمير مدينة الإسكندرية بأكملها وعنده من الرجال المدنيين بل والعسكريين ما يجعلهم فى غنى عن حضور واحد مثل محمود عبد اللطيف من القاهرة ليضرب عبد الناصر فى الإسكندرية!".

كانت تلك شهادة عباس السيسى فى كتاب جابر رزق "مذابح الإخوان فى سجون ناصر" وهى توضح بشكل لا يحتمل اللبس قوة وتأثر التنظيم السرى المسلح للإخوان وقدرته على تدمير مدينة مثل الإسكندرية؛ ورغم إنكار كثير من الإخوان علاقتهم بحادث المنشية إلا أن هناك ما قد يبدد هذا الادعاء.. وهو ما ذكرته د. كريمان إبراهيم المغربى فى رسالة الماجستير التى أعدتها بعنوان (الإخوان المسلمون من حسن البنا إلى سيد قطب).. وفيها حوارات أجرتها مع قادة الجماعة ومنهم الأستاذ فريد عبد الخالق أحد القادة السابقين للجماعة الذى قال حول حادث المنشية: (كانت هناك مجموعة تخطط لقتل عبد الناصر بعلم المرشد

رداً على اعتداءات جمال عبد الناصر على الإخوان؛ إلا أن جهاز المخابرات علم بذلك الأمر مبكرًا وترك لهم المسرح حتى أتموا العملية وفق خطة المخابرات).

وفى نفس الدراسة التى أجرتها د. كريمان يقول الأستاذ صالح أبو رفيق المستشار بالجامعة العربية وأحد كبار قادة الإخوان: (إن المرشد حسن الهضيبى علم أن هناك بعض الشباب يتدربون لمحاولة قتل عبد الناصر فأرسل إلى رئيس الجهاز السرى يوسف طلعت قائلاً: أنا برىء من كل دم يسفك) وأن هنداوى دوير هو الذى كلف محمود عبد اللطيف بقتل عبد الناصر؛ وأن عبد اللطيف تلقى الأمر على أنه أمر من الجماعة.. وقبل أن ينفذ محمود عبد اللطيف عملية الاغتيال كان مدبرو التمثيلية قد سبقوا إلى إطلاق الرصاص فى الهواء؛ ثم ألقيت التهمة على محمود عبد اللطيف.

وتسأل الباحثة.. الأستاذ صالح: وكيف علم عبد الناصر بأن محمود عبد اللطيف سيقوم بمحاولة الاغتيال؟

لتأتى إجابته: (سر هذا الأمر مع هنداوى دوير).

ويبدو واضحاً أنه خلال تولى المرشد العام حسن الهضيبى كان هناك صراع واضح ما بين موافقته هو شخصيًا على وجود الجهاز السرى المسلح للإخوان، وما بين وجوده على أرض الواقع، فقد كان رجلاً هادئًا ينبذ العنف ولا يعترف به؛ ونعود إلى ما ذكره ريتشارد ميتشل عن شخصية حسن الهضيبى ورؤيته للجهاز السرى قال: "لقد مكث الهضيبى بعد تعيينه قرابة الشهر فى منزله ثم طلب بعد ذلك أن يعاد النظر فى قبوله هذا المنصب، وكان ذلك تالياً لاكتشافه أن الجهاز السرى ما يزال قائما، وبادر بالإعراب عن نفوره من العنف الذى ميز السنوات من ١٩٤٦ وحتى ١٩٤٩؛ وعن إصراره على عدم المشاركة بأى دور فى كفالة استمرار هذا النشاط".

وعبر عن هذا الرأى بوضوح كامل عندما قال: "لا سرية فى خدمة الله، لا سرية فى الرسالة، ولا إرهاب فى الدين" فهو كان رافضاً لذلك الجهاز ودوره ولفكرة العمل السرى؛ وهو نفس الرأى الذى صرح به أيضاً عبد القادر عودة بأن

الجهاز السرى كان خطأً من الوجهة التنفيذية إذ كان سبباً فى وجود قيادة مزدوجة بل ومتناقضة فى أغلب الأحوال.

ومع كل الغموض الذى أحاط بحادث المنشية فإن اعترافات هنداوى دوير؛ الذى تحمل مسئولتها بالكامل وكان الرئيس المباشر لمحمود عبد اللطيف، جعلته يدرك أنه سيقع لا محالة؛ فما كان منه إلا أن سافر مع زوجته إلى أهلها فى المنيا وتركها لديهم ثم عاد إلى القاهرة وقام بتسليم نفسه إلى السلطات ونطق بجملته التى أظهرت مدى انهياره (سلمت نفسى؛ وسلمت الأسلحة، وسلمت الناس).

أنهت تلك الاعترافات مرحلة مهمة ما بين مجلس قيادة الثورة وجماعة الإخوان: وحسمت الأمر للنظام الجديد وأنهت زمن المفاوضات ليصبح العداء سافراً، ومنحت السلطة الحاكمة الفرصة لاستعراض القوى وإثبات من هو صاحب اليد العليا والقرار الأخير. فالمرشد العام فى السجن ومعه قيادات الإخوان ومن بينهم سيد قطب؛ المفكر الهادئ والناقد الأدبى صاحب الذوق الراقى؛ الذى سيلعب دورًا هامًا فيما بعد وتمت محاكمتهم وصدرت ضدهم أحكام مختلفة تراوحت ما بين الإعدام والسجن المؤبد والأشغال الشاقة لفترات مختلفة؛ وغابوا داخل السجون والمعتقلات ليتعرضوا لصنوف من التعذيب والتنكيل.

وتم تنفيذ العقوبات وتم إعدام ستة منهم هم عبد القادر عودة ومحمد فرغلى ويوسف طلعت وهنداوى دوير وإبراهيم الطيب ومحمود عبد اللطيف. وفى عام ١٩٦٠ بدأ الإفراج عن بعضهم وفى عام ١٩٦١ أفرج عن مجموعة أخرى وفى عام ١٩٦٤ تم الإفراج عن المرشد العام وسيد قطب، لتبدأ مرحلة أخرى شديدة الأهمية فى تاريخ مصر والجماعة يبرز فيها "سيد قطب" الذى بدأ دوره يظهر بقوة ووضوح أثناء قضائه فترة العقوبة فى السجن، ومازال سيد قطب من أكثر الأشخاص الذين لفهم الغموض فى تاريخ الحركات والجماعات؛ ومازالت تحركاته الحادة تثير آلافاً من علامات الاستفهام، فقد استطاع ذلك الرجل الذى عرف عنه أدبه الجم وهدوؤه وذوقه الرفيع أيضاً، أن يضع الأساس لجماعات العنف والتكفير فى الفترات اللاحقة رغم انضمامه للجماعة فى فترة متأخرة من عمره، إلا أن

قوة تأثيره تحتاج إلى عشرات السنين حتى يمكن محوها والتخلص منها، فهو مجدد الفكر التكفيرى وصاحب الخطوات الأولى فى وضع بذور العنف وتكفير الحاكم والمحكومين التى وضعها فى سطور كتابه "معالم على الطريق".

ومازال رغم مرور عشرات من السنين على إعدامه يثير دهشة الباحثين والمنقبين فى تاريخ جماعات العنف، ويجعل البعض يفترض أن أفكاره لم تكن تأخذ الشكل التكفيرى وإنما خرجت من سياقها ليتم تأويلها فقط.

فلا يوجد فى طفولته وشبابه أى مؤشرات تنذر بنهايته، فلم يكن لديه تاريخ حسن البنا الذى عرف كيف يكون زعيماً وهو فى الرابعة عشرة من عمره..

ولد سيد قطب بقرية "موشا" إحدى قرى محافظة أسيوط عام ١٩٠٦، وتوفى والده وهو مازال فى بداية السنوات الأولى لتعليمه؛ ثم سافر إلى القاهرة ليلتحق بدار العلوم، نفس الكلية التى درس بها حسن البنا، وبعد تخرجه عين بوزارة المعارف وظل يتدرج فى وظائفها حتى أصبح مراقباً عاماً بالوزارة، وكان له اتجاه وميل واضح لدراسة الأدب والنقد والثقافة، وكان على اتصال بعباس العقاد ومن كبار المعجبين بمصطفى صادق الرافعى مما أثر به وفجر بداخله طاقات الإبداع فكتب ثلاثة دواوين شعرية هى: "الشاطئ المجهول"، "حلم الفجر"، "قافلة الرقيق".

وفى أوائل عام ١٩٤٩ أرسلته وزارة المعارف فى بعثة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة أسس التربية ومكث فيها ثلاث سنوات عاد بعدها ليؤلف كتاباً عن رحلته أسماه (أمريكا التى رأيت)، وكان قد أصدر قبلها عدة مؤلفات فى النقد الأدبى هى: "النقد الأدبى ..أصوله ومفاهيمه"، "مهمة الشاعر فى الحياة"، "كتب وشخصيات".

وأعقب تلك الدراسات الأدبية النقدية تحول فى اتجاهاته الفكرية، فقد اتجه إلى الكتابات الإسلامية فأصدر كتابه "التصوير الفنى فى القرآن" وتبعه بـ"مشاهد القيامة فى القرآن" ثم "العدالة الاجتماعية فى الإسلام"، "الإسلام والسلام العالمى"، "معركة الإسلام والرأسمالية".

وبدأت ملامح المرحلة الجديدة تظهر فى حياة سيد قطب فى بداية عام ١٩٥٢

عندما زاره فى منزله مجموعة من شباب الإخوان وأبدوا إعجابهم بكتابه "العدالة الاجتماعية فى الإسلام" ودعوه إلى إلقاء المحاضرات فى المركز العام للجماعة، وعندما قامت الثورة كان شديد التأييد لها وظهر ذلك من خلال كتاباته فى الصحف.. وجاء عام ١٩٥٣ ليصبح سيد قطب عضوا فى جماعة الإخوان المسلمين وكان يلقى دروس الثلاثاء فى المركز العام، كما كانت له جولاته فى الأقاليم لإلقاء المحاضرات والدروس.

وشهدت تلك الفترة المفاوضات ما بين مجلس قيادة الثورة والجماعة التى انتهت بالفشل وبموقف الجماعة المعادى للثورة .. واستشعار النظام الجديد خطورة الجماعة .. فى ظل هذه الأجواء تم تعيين سيد قطب رئيس نشر الدعوة.. ووجد نفسه فى المكان الصحيح الذى يليق به، فلقد كان يمتلك موهبة فريدة فى صياغة وتوجيه الأفكار إلى الجماعة، وتحديدا إلى الشباب الذين كان يهتم بالتعامل معهم فى المقام الأول إلى جانب مسئوليته عن تحرير مجلة الإخوان الأسبوعية.

ولم يكتف سيد قطب بدوره كرئيس قسم نشر الدعوة، وإنما اقترب أكثر من الجزء التنفيذى والحركى فى الجماعة.. أصبح مسئولاً عن التغذية الفكرية وعمل مع يوسف طلعت فى الجهاز السرى، وكان يشرف على إصدار النشرة السرية للجماعة باسم (الإخوان فى المعركة)، وهو الذى قام بكتابة نقد معاهدة جلاء القوات البريطانية التى وقعها قادة الثورة تحت عنوان (هذه المعاهدة لن تمر).

وفى أقل من عامين أصبح سيد قطب أحد قادة الإخوان متنقلا بين موقعه فى الدعوة وفى الجهاز السرى ليلقى القبض عليه بعد حادث المنشية، ويصدر ضده حكم بالأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاماً. وهكذا أصبح الوافد الجديد على الجماعة أحد القادة المؤثرين ولم ينته ذلك الدور عند دخوله السجن.. بل إنه بدأ فعلياً فى ممارسة دوره كمنظر ومفكر للجماعة، وكمؤسس للفكر الجديد والذى وجهه كعادته إلى الشباب.

ومنذ دخوله السجن ساءت حالته الصحية فتم نقله إلى مستشفى السجن الذى

استقر به، وكان يقضى وقته فى القراءة والكتابة وإعادة كتابة أجزاء من كتابه "فى ظلال القرآن"، وألف أثناء إقامته فى السجن خمسة كتب هى: "هذا الدين"، "المستقبل لهذا الدين"، "الإسلام ومشكلات الحضارة"، "خصائص التصور الإسلامى"، وأخيراً "معالم على الطريق".

وتحول سيد قطب بشخصيته الهادئة وفكره العميق إلى مفكر يلجأ إليه الشباب داخل السجن، واستطاع أن يحتل دور القائد الروحى لشباب الإخوان داخل السجن وخارجه، فى نفس الوقت الذى بدأت مجموعات من الشباب خارج السجن يشعرون بضرورة إحياء نشاط الجماعة التى تعرض قادتها إلى السجن، وبرغبتهم فى عدم الاستسلام والدفاع عن أنفسهم بإحياء الجماعة من جديد وكانت المحاولة الأولى بين أعوام ١٩٥٧-- ١٩٦٢ والمحاولة الثانية ما بين أعوام ١٩٦٢ إلى ١٩٦٤ ثم المحاولة الثالثة والمهمة والتى سيترتب عليها الأحداث المؤثرة فى تاريخ الجماعة بين عامين ١٩٦٤ حتى ١٩٦٥ .

ويشرح وبكثير من الوضوح والتفاصيل أحمد عبد المجيد، أحد قادة الإخوان وأحد الذين قاموا بإحياء التنظيم فى تلك الفترة، ما حدث فى كتابه "الإخوان وعبد الناصر القصة الكاملة لتنظيم ٦٥" فيقول عن الفترة من ١٩٧٥ إلى ١٩٦٢: "تتميز هذه الفترة بأنها نقطة البدء وتختلف عن غيرها بأنها مرتبطة بمنطقة معينة وأشخاص محددين ولا يمنع أن يكون فى هذه الفترة إخوان آخرون يتحركون فى أماكن أخرى من محافظات مصر ولم نكن نعلم وقتها وهم الذين ارتبطوا معنا بعد ذلك فى مرحلة دمج المناطق المختلفة وتوحيد العمل. ففى خلال عام ١٩٧٥ كنت فى شقة بعض الإخوة بالزيتون بالقاهرة معظمهم طلبة جامعيون وقريبة من معهد الزيتون الدينى، كان يرتادها مجموعة من شباب الإخوان وكان ضمن هذه الشقة طالب بكلية الطب، هو د. أمجد صديق واثنان بكلية الحقوق هما إبراهيم عبد الفتاح المحامى وكمال الفرماوى المحامى وعثمان أحمد إبراهيم موظف بشركة شل".

وكانت تلك الشقة مكاناً لتجمع الشباب، وفى أحد الأيام قدم مع إبراهيم عبد

الفتاح على عشماوى من محافظة الدقهلية، وتعرف على أحمد عبد المجيد وعلى باقى الموجودين.

وبدأ على عشماوى فى سعيه لإحياء الجماعة من جديد، وعرض الفكرة على أصدقائه وبعد مناقشات اعترض فيها أحمد عبد المجيد على الفكرة لصغر سنهم وقلة خبرتهم وعدم وجود شخصية قيادية يجتمعون تحت لوائها، وافق الجميع بعد أن أقنعهم على عشماوى بأنهم لابد أن يبدأوا واتفقوا على عقد لقاء بحديقة الدمرداش بالعباسية بالقاهرة حتى لا يلفتوا إليهم الأنظار، وانتهوا إلى.. توزيع الأدوار والقيادات كالأتى:

على عشماوى الأمير

■ أمين شاهين مسئول النواحى المالية.

■ أحمد عبد المجيد المعلومات

■ وضع برنامج دراسى تربوى السرية التامة مع الحذر الشديد فى التحرك والاتصالات .

■ عدم التقيد بالتقسيم الجغرافى لحركة كل منهم والاتصال بمن يعرف فى أى مكان بمصر والاتصال بقيادات الإخوان.

■ استبعاد أى شخص سبق له التأييد، والمقصود بالتأييد "وكان فى سجن الواحات" بأن يرسل المسجون برقية تأييد لجمال عبد الناصر" وكذلك استبعاد أى شخص ولو فيه شك بنسبة ١٪.

وباءت تلك المحاولة بالفشل بعد أن انفصل منهم أمين شاهين؛ لأنه كان يسير على سياسة بعض الإخوان (تنظيم ولا تنظيم) بمعنى أنهم يتزاورون ويلتقون دون أن يكون بينهم تجمع حركى، إلى جانب عدم تحمس أحد من القادة القدامى لفكرة إحياء الجماعة خاصة أنه كان هناك اتهام يسمى (إحياء الجماعة).

ولم يستسلم على عشماوى أمير الجماعة لفشل المحاولة الأولى وتجدد أمله بعد أن التقى مع عوض عبد العال، المدرس الذى كان يسعى لتحقيق نفس الهدف وبعث الروح مرة أخرى فى الجماعة، وضموا إليهم محمد عبد الفتاح شريف الذى

كان يرى ضرورة اغتيال جمال عبد الناصر ورفض على عشماوى ذلك الرأى تماماً.

وشهدت الأعوام من ١٩٦٢ حتى ١٩٦٤ تحركات نشيطة من على عشماوى الذى التقى بالشيخ عبد الفتاح إسماعيل وفتحى رفاعى واتفقوا على استبعاد فكرة اغتيال جمال عبد الناصر وأن يضعوا جهودهم فى لم شتات الإخوان، خاصة أنهم قاموا باستئذان المرشد العام حسن الهضيبى فوافق كما استطاعوا أن يتصلوا بالإخوان فى السجون وخاصة سيد قطب.. مما منح ذلك التجمع شرعية بدأوا يتحركون على أساسها، خاصة أن لديهم اتصالات مع الإخوان فى الخارج واستطاعوا تجميع بعض مصادر التمويل منهم، كما كان لديهم القدرة على الاتصال بمجموعات من الإخوان فى الإسكندرية والبحيرة واجتمع المؤسسون الجدد فى منزل الشيخ عبد الفتاح إسماعيل بدمياط، وشهد اللقاء محمد فتحى رفاعى وأحمد عبد المجيد وعلى عشماوى وفى ذلك الاجتماع تم توزيع الاختصاصات، فأصبح الشيخ عبد الفتاح إسماعيل مسئولاً عن دمياط وشرق الدلتا. وأوكل إليه الاتصال بالمرشد العام وبسيد قطب داخل السجن والتنسيق مع إخوان الإسكندرية والبحيرة.

وأصبح الشيخ محمد فتحى رفاعى مسئولاً عن الدقهلية الغربية والمنوفية، وأيضا وضع البرامج الدراسية والتربوية خاصة أنه كان يعمل مدرساً بالمعاهد الأزهرية ولم يستمر فى مهمته طويلا إذ إنه حصل على إعارة للعمل كمدرس فى الجزائر فتم إعطاء مهامه لصبرى عرفة الكومى. وأوكل إلى أحمد عبد المجيد مسئولية الوجه القبلى والمعلومات. واعتمدوا فى منهجهم الفكرى على ما يصل إليهم من رسائل سيد قطب ومذكرات محمد يوسف هراش بعنوان (جولة فى العقيدة والحركة).

وفى نفس الوقت الذى كانت فيه مجموعة على عشماوى تعمل على إحياء التنظيم من خارج السجن كان سيد قطب يعمل بهمة ونشاط من داخل مستشفى السجن، فكان يقوم بالاتصال بمجموعات من الشباب المحكوم عليهم أثناء ترددهم

على المستشفى، ودارت المناقشات الحادة وراء الأسوار حول أفكار التكفير وآرائه التى وضعها فى كتابه الشهير "معالم على الطريق" وكان من أوائل من اعتنق فكر التكفير مصطفى كامل حسين ويوسف كمال قنعر وتوليا نشر ما اعتنقاه لباقى المسجونين وانتقلت أفكار التكفير إلى باقى السجون وكان من بينها سجن الواحات المعتقل فيه أعضاء مكتب الإرشاد ومن بينهم عمر التلمسانى وحامد أبو النصر وعبد العزيز عطية ومصطفى مشهور واجتمعوا فى السجن وأرسلوا إلى سيد قطب ليبلغوه أن نشر أفكار التكفير سوف تؤدى إلى تفتت الإخوان وحدوث انقسامات بينهم فى الظروف الصعبة التى يمرون بها، وكانت النتيجة تراجع كثيرين ممن اعتنقوا ذلك الفكر وعلى رأسهم مصطفى كامل حسين ويوسف قنعر ولم يتوقف من تراجعوا عند ذلك الحد، بل بدأوا فى مقاومته والحد من انتشاره ومراجعة ما قال به.

وسواء اعترض قادة الإخوان على فكر التكفير وحاول إيقافه أو لم يعترضوا إلا أن واقع الأمر أنه أصبح من المؤكد أن تلك الفترة بلورت سيد قطب كمفكر وقائد روحى للجماعة منافس لمؤسس الجماعة نفسه حسن البنا، بل إن تلك المرحلة ارتبطت باسمه هو شخصياً فأصبح هناك منذ تلك الفترة من يعرف "بالقطبيين" ويرى البعض أن هناك أسباباً هامة ساهمت فى انتشار فكر التكفير والانتقال إلى مرحلة هامة وخاصة فى تاريخ الجماعة، وهو ما تعرض له الإخوان فى تلك الفترة من السجن والاعتقالات والتعذيب والتنكيل بهم، مما جعل من اعتنق ذلك الفكر يتمسك به بعدما أصابه من التعذيب ووجدوا المبرر أن من يقوم بتعذيبهم لا يمكن أن يكون مسلماً، وإنما هو كافر جاحد.. وأن المجتمع الذى سمع وسكت عما يتعرضون له هو أيضاً كافر، إلى آخر هذه الدائرة.

وجاءت أفكار سيد قطب التى ضمنها كتابه "معالم على الطريق" لترسخ هذا المفهوم لديهم، فقد كان يرى أن كل المجتمعات فى كل البلاد العربية والإسلامية مجتمعات جاهلية بل وأشد من الجاهلية الأولى، لأنها تتحاكم إلى الطاغوت وتحكم بغير ما أنزل الله، وأن تلك المجتمعات هى دار حرب بما فى ذلك الشعوب

والرؤساء وملوك وحكام الدول العربية والإسلامية، وأن دار الإسلام هى المجموعة المعتنقة لأفكاره.. وأن الجاهلية ليست فكرة تاريخية سبقت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنها حالة تتكرر كلما بعد الناس عن منهج الله واتبعوا الطواغيت فحكام العالم بوضعهم الراهن كفار مستدلاً بالآية الكريمة (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ) (المائدة ٤٤) وأن المحكومين ممن ينتسبون إلى الإسلام تحت حكم الطاغوت وصف الله إيمانهم بأنه آثم بدليل الآية.. "ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدًا".

وأكد أنه لا وسط ما بين الجاهلية الإسلام، لأن الإسلام له وجه واحد لا تتعدد صوره فإما إسلام وإما جاهلية، كفر أو إيمان، حق أو باطل فلا ينبغى أن تكون هناك أنصاف حلول مع الجاهلية الحديثة ولا التقاء معها فى منتصف الطريق. والعالم أجمع فى وضعه الراهن ليس إلا دار حرب بالنسبة للمسلم، لأن دار السلام هى التى تنفذ شريعة الإسلام وأن الحرب هى التى لا تنفذها بغض النظر عن كون غالبية سكانها من المسلمين أو من غيرهم.

ويرى أن الملايين الغفيرة التى تنسب إلى الإسلام وتنطق بالشهادة من سلالة المسلمين فقط، ويسكنون أرضاً كان سكانها يوماً ما مسلمين، وهم الآن بعد أن غيروا وبدلوا ليسوا جديرين بأن يكونوا مسلمين وأن شهادة أن لا إله إلا الله تظل ادعاء فقط حتى يصدقه الأسلوب العملى أو يكذبه والشهادة بذلك قولية وعملية.. قولية يتلفظ بها كثير من الناس وعملية لا يؤديها على وجهها اليوم أحد.

ويرى ضرورة أن تكون هناك مرحلية فى الدعوة ويقرر أن واجب الصفوة أن تلتزم فى هذه المرحلة بالالتزام برسول الله، صلى الله عليه وسلم، فى "مكة" خلال ثلاثة عشر عاماً يدعو فيها أن لا إله إلا الله ولا شىء غير ذلك وفى هذه المرحلة، مرحلة العهد المكى، يرى "أنه من العبث الاشتغال بالمسائل التشريعية وأن من يحاول الاشتغال بهذه المسائل كمن يبذر بذوراً فى الهواء ولا يمكن إخضاع المجتمع

الجاهلى لحكم الله . ويرى أنه حين تأتى مرحلة الزمن المدنى تكون هى المجال الطبيعى للاهتمام بالجانب التشريعى الذى يأتى وليداً للممارسة والتجربة والخطأ.

ويأتى بعد ذلك للحديث عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فيرى أنه لا يجوز العمل به إلا فى مجتمع إسلامى يتحاكم إلى شرع الله حتى يقوم رئيس الدولة وأجهزة الأمن بحماية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. أما الآن فمجتمعنا غير إسلامى فواجب الصفوة أن تقوم بتفهيم الناس من جديد معنى "لا إله إلا الله" وتنهاهم فى نفس الوقت عن مزاولة المنكر الأكبر أو إقرار أحد عليه وهو اغتصاب ألوهية الله فى الأرض بممارساتهم بين التشريعات والمناهج المختلفة.

ويتطرق سيد قطب إلى مسألة غاية فى الخطورة وهى "الجهاد" ويسقط الجهاد فى هذه المجتمعات القائمة التى تزعم أنها مسلمة لأنه وقوف مع الطواغيت وولاء لسلطان غير الله واستبدال طاغوت بطاغوت، فرعونياً كان أو فارسياً أو غربياً، ولا يلزم الإنسان إلا الدفاع عن أسرته وإن وطأت أقدام العدو أرضاً يسكنها من يزعمون أنهم مسلمون.

وهنا وفى ظل ذلك المجتمع الذى حكم عليه بأنه مجتمع جاهلى يرى أن الصفوة مضطرون بحكم ظروف حياتهم ومعاشهم أن يعملوا فى أجهزة الدولة. ولكنهم حين يعملون بإخلاص فإنهم يشاركون فى تقوية المجتمع الجاهلى الذى يجب إضعافه والقضاء عليه وإذا عملوا بإخلاص فأنهم سيؤخرون قيام المجتمع المسلم.

ويتطرق فى أفكاره إلى مبدأ "المفاصلة" فهو يرى أن المسلم الفاهم عليه أن يفاصل قومه وأقاربه مفاصلة شعورية، بحيث يشعر أنه غيرهم فهو شىء وهؤلاء الناس شىء آخر، حتى يتسنى له أن ينقلهم إلى ما هو عليه. ولا تتم المفاصلة الواقعية التى تظهر آثارها فى العلاقات الاجتماعية المختلفة وغير ذلك إلا بعد أن يتم له ما يريد وتقوم دولة الإسلام.

وسار العمل فى التنظيم الجديد بهمة ونشاط سيد قطب يخرج رسائله من السجن ليتدارسها أفراد التنظيم.

وخرج سيد قطب من السجن بعد أن تم الإفراج عن أفراد الجماعة المعتقلين ومن بينهم سيد قطب بإفراج صحى.. واستقبل سيد قطب المهتمون بخروجه من السجن وكان من بينهم الشيخ عبد الفتاح إسماعيل.. وسافر سيد قطب إلى رأس البر ليقضى عدة أيام وفى عشته هناك اجتمع أفراد التنظيم الجديد ليتعرف عليهم وتمت مفاتحته فى أن يتولى أمر التنظيم وقبل سيد قطب بشرطين أولهما أن يعرف كيف التقى أفراد التنظيم بعضهم البعض وثانيهما الحصول على موافقة المرشد.

وتم تحقيق ما أراد له.. واستقر التنظيم برئاسة سيد قطب الذى شكل وجوده بينهم دافعاً قوياً كشخصية مؤثرة وصاحب فكر، ومن أهم قيادات الجماعة. ووضع لهم منهجاً دراسياً وتربوياً يمثل أساساً فكرياً كان على أعضاء التنظيم دراسته بدقة لبناء الأساس الفكرى لهم وشملت القائمة:

رسالة العبودية ابن تيمية.

الإيمان ابن تيمية

العقائد حسن البنا

المصطلحات الأربعة أبو الأعلى المودودى

تفسير السور التالية من كتابه "فى ظلال القرآن".. وبترتيب معين "الأنعام الأعراف يونس هود يوسف" وهى سور مكية وتتناول العقيدة ومحاربة أهل الباطل لها ولأتباعها مع الرسل.

وسور: "المائدة النساء البقرة آل عمران" وهى سور مدنية وتتناول الجوانب التشريعية والتطبيقية فى وجود الدولة المسلمة.

مبادئ الإسلام أبو الأعلى المودودى.

الإسلام والجاهلية أبو الأعلى المودودى

شهادة الحق أبو الأعلى المودودى

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ?أبو الحسن الندوى

خصائص التصور الإسلامى ?سيد قطب

هذا الدين - سيد قطب
المستقبل لهذا الدين - سيد قطب
معالم فى الطريق - سيد قطب
منهج التربية الإسلامية - محمد قطب
جاهلية القرن العشرين - محمد قطب
هل نحن مسلمون - محمد قطب
معركة التقاليد - محمد قطب
الإسلام ومشكلات الحضارة - سيد قطب
العدالة الاجتماعية فى الإسلام - سيد قطب
السيرة النبوية - لابن هشام
زاد المعاد - ابن القيم
رياض الصالحين - النووى
سبل السلام - الصنعانى
فقه السنة - الشيخ سيد سابق
الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر د . محمد محمد حسين
الروضة الحديثة د. محمد محمد حسين
بروتوكولات حكماء صهيون
خطر الصهيونية على الإسلام والمسيحية - عبد الله التل .
العالم العربى اليوم - مورو برجر
الغارة على العالم الإسلامى - ترجمة محيى الدين الخطيب
الإسلام فى العصر الحديث - ولفريد كانتلى سميث
زعماء الإصلاح - أحمد أمين.

وعرض أفراد التنظيم الجديد على سيد قطب فكرة اغتيال جمال عبد الناصر. ويقول أحمد عبد المجيد فى كتابه "الإخوان وعبد الناصر": (عرضنا عليه فكرة اغتيال جمال عبد الناصر وأن لدينا أخاً فى حرسه يستطيع أداء ذلك

بسهولة ويلح فى ذلك).. فرد عليهم: (لا أريد أن تشغلوا أنفسكم بهذه القضايا ولو حتى كان الاستيلاء على الحكم وتطبيق الشريعة الإسلامية، ولا القضايا السياسية والوطنية والإصلاحات الجزئية.. نحن نريد الإسلام فى نفوس وقلوب الناس قبل أى إجراء آخر. ويجب عدم إضاعة الوقت فى فرض التشريع الإسلامى بالقوة. قبل أن تكون القاعدة المسلمة فى المجتمعات والتى تسعى لإقامة النظام الذى عاشت به وتعرفه".

وتحرك التنظيم فى هدوء وحذر شديدين ونشط سيد قطب فى كتاباته ومحاضراته لتوعية وتثقيف الجماعة ولم تلفت تحركات التنظيم نظر رجال الأمن حتى حدثت واقعتان أدتا إلى كشف التنظيم، كانت الأولى القبض على محمد قطب فى شهر يوليو عام ١٩٦٥ وعلى بعض الإخوان الذين سبق القبض عليهم عام ١٩٥٤مما أطلق نذير الخطر أمام التنظيم الجديد؛ وبدأوا يشعرون بالخوف والقلق من انكشاف أمرهم، وهو ما عبر عنه القيادى أحمد عبد المجيد قائلاً فى نفس الكتاب السابق: (وعند شعورنا بالقلق والخشية من تكرار مثل ضربة ١٩٥٤، وتذكر الأهوال التى تصيب الإخوان من التعذيب والتشريد وغيره، ثم الخوف على هذا التنظيم الوليد من وأده فى مهده، كل هذه الاعتبارات وغيرها جعلتنا نفكر وما السبيل؟ هل نصبر ونسلم أنفسنا كما يحدث فى كل مرة؟ أم أن هناك وسيلة أخرى لرد هذا الاعتداء ودفعه وسحقه إن أمكن أو على الأقل للدفاع عن أنفسنا؟).

ووافق سيد قطب على رد الاعتداء والدفاع عن النفس وتحمس لذلك على عشماوى الذى أكد وجود أفراد بالقاهرة والجيزة على اتصالات مع الإخوان فى الخارج لتجهيزهم بالسلاح وإدخاله عن طريق السودان وبدأ حصر العمليات التى ستتم داخل مصر وتحديد عمل كل مجموعة وتدريبها على السلاح والمتفجرات.. وكل هذا بغرض رد الاعتداء.

وفى نفس الوقت كان يتم استجواب إسماعيل الهضيبى وكان محامياً ولم يكن له علاقة بالتنظيم السرى واعترف بوجود خلية من الطيارين بشركة مصر

للطيران تم اعتقال اثنين وهروب الثالث إلى السودان، وأدليا باعترافات للتخطيط لنسف مطار القاهرة، وبدا من الواضح أمام أجهزة الأمن أن وراء تلك الخلية تنظيماً كبيراً يعمل بدقة وحذر وتوالت الاعترافات لتنتهى بكشف أمر التنظيم والقبض على رئيسه سيد قطب فى أغسطس ١٩٦٥ وباقى الأفراد الذين تم نصب أكمنة لهم فى الأماكن التى يترددون عليها.

وصدر ضد أفراد التنظيم قرار الاتهام فى الجناية رقم ١٢/١٩٦٥ وشمل هذا القرار توجيه الاتهام لـ٤٣ عضواً..

وكان نص قرار الاتهام: "لأنهم فى الفترة من سنة ١٩٥٩ حتى آخر سبتمبر ١٩٦٥ بالجمهورية العربية المتحدة وبالخارج، حاولوا تغيير دستور الدولة وشكل الحكومة فيها بالقوة، بأن ألفوا من بينهم وآخرين تجمعاً حركياً وتنظيماً سرياً مسلحاً لحزب الإخوان المسلمين المنحل يهدف إلى تغيير نظام الحكم القائم بالقوة باغتيال السيد رئيس الجمهورية والقائمين على الحكم فى البلاد، وتخريب المنشآت العامة وإثارة الفتنة فى البلاد، وتزودوا فى سبيل ذلك بالمال اللازم؛ وأحرزوا مفرقعات وأسلحة وذخائر، وقاموا بتدريب أعضاء التنظيم على استعمال هذه الأسلحة والمفرقعات؛ وحددوا أشخاص المسئولين الذين سيجرى اغتيالهم وعاينوا محطات الكهرباء والمنشآت العامة التى سيخربونها ورسموا طريقة تنفيذ ذلك وتهيأوا للتنفيذ الفعلى، وعينوا الأفراد الذين سيقومون به وحال ضبطهم ومن تمام مؤامرتهم وكان المتهمون السبعة الأول المتولين زعامة التنظيم".

وبعد ذلك تم إعلان الأحكام ضدهم وصدرت فى ٢١/٩/١٩٦٦ بإعدام المتهمين السبعة سيد قطب إبراهيم - محمد يوسف هواش - عبد الفتاح عبده إسماعيل - على عبده عشماوى - أحمد عبد المجيد عبد السميع - صربى عرفة الكومى - مجدى عبد العزيز متولى.

وكانت أخطر الاتهامات التى وجهت إلى التنظيم هو محاولة نسف القناطر الخيرية ونسبت تلك المحاولة إلى فتوى أصدرها سيد قطب لأنه سيترتب على ذلك إغراق الدلتا بالكامل لأنها أرض كفر يجب تطهيرها.. ولو تمت تلك المحاولة

سوف تنشغل الحكومة بتلك الكارثة وستتوقف عن حملات اعتقال الإخوان.. إلى جانب أن تدمير القناطر وإغراق نصف مصر هو بداية الثورة الإسلامية لأنها ستكون بمثابة إنذار شديد اللهجة للناس لينتبهوا إلى الخطايا والكفر الذى يعم البلاد.

ونفذ حكم الإعدام فى سيد قطب. بعد أن شرب كوب ماء وأدى صلاة الفجر وبعدها أعدم الشيخ عبد الفتاح عبده إسماعيل، ثم يوسف هواش الذى ظل يردد عبارة (لقد أبلغتهم أنهم يحكمون بغير ما أنزل الله.. اللهم فاشهد)، وخفف حكم الإعدام عن الأربعة الآخرين بالسجن أما باقى المتهمين فقد صدرت ضدهم أحكام متفاوتة من السجن.

وبتلك الأحكام وما قاساه بعد ذلك الإخوان داخل السجن انتهت مرحلة هامة؛ لتبدأ بعد ذلك مرحلة أكثر أهمية كانت أفكار سيد قطب هى المحرك الرئيسى فيها، ليضع بذرة العنف فى تربة الجماعات الإسلامية التى نشأت بعد ذلك، بعضها داخل السجون وبعضها خارجها، واستطاع سيد قطب أن يمثل حركة الوصل والربط بين أدبيات فكر الإخوان الأولى والتى صاغها حسن البنا؛ والتى كانت فى بدايتها حركة دعوية لم تشتغل فى السياسة فى بادئ الأمر وغرقت فى بحورها فى نهايته ليضع سيد قطب منحنى فكرياً جديداً على الجماعة نفسها. ليطرق به عقول وقلوب شباب آمنت بأفكار سيد قطب لتخرجها إلى حيز التنفيذ لتكتوى مصر بعد ذلك لسنوات طويلة بما فسره هؤلاء الشباب وأضافوا إليه وأغلقوا به على أنفسهم من أفكار سيد قطب الذى حاول حسن الهضيبى نفض أفكار التكفير التى تسللت إلى الجماعة بكتابه "دعاة لا قضاة".

وتوفى المستشار حسن الهضيبى ليخلفه بعد ذلك عمر التلمسانى؛ الذى ولد عام ١٩٠٤ لأسرة ثرية بالنورية؛ كانت جذورها تمتد إلى تلمسان بالجزائر وحصل على ليسانس الحقوق واشتغل بالمحاماة وانضم لجماعة الإخوان عام ١٩٣٣ وتحالف التلمسانى مع الرئيس السادات فى مواجهة اليسار ومن أجل التخلص من كثير من مشكلات الحكم التى واكبت الفترة الزمنية لوفاة الرئيس جمال عبد

الناصر وبدت الأمور تسير فى صالح الإخوان حتى وقعت معاهدة كامب ديفيد ليصطدم التلمسانى بالسادات وتقع أحداث سبتمبر ١٩٨١ ويتم اعتقاله حتى وفاته فى عام ١٩٦٨ ليصبح من بعده حامد أبو النصر المرشد العام الذى ولد عام ١٩١٣ بمدينة منفلوط بأسيوط وشارك فى العمل الاجتماعى والدينى فى جمعية الإصلاح الاجتماعى بمنفلوط ثم انضم إلى جمعية الشبان المسلمين ثم الإخوان المسلمين فى عام ١٩٣٤ ودخل مكتب الإرشاد وقبض عليه فى عام ١٩٥٤ وظل فى السجن حتى أفرج عنه فى عهد الرئيس السادات.. ليتحول حامد أبو النصر بالجماعة إلى العمل السياسى ليشهد عهده التحالف مع حزب العمل ليدخل الكثير من أفراد الجماعة إلى مجلس الشعب.

وتوفى محمد حامد أبو النصر عام ١٩٩٦ ليتولى من بعهده مصطفى مشهور الذى حمل لقب "صقر الصقور" والمتهم فى قضية السيارة الجيب عام ١٩٤٨ وأحد أعمدة الجهاز السرى للإخوان.

ولد عام ١٩٢١ فى قرية السعديين بمنيا القمح بمحافظة الشرقية وتخرج فى كلية العلوم عام ١٩٤٢ وعين فى الأرصاد الجوية ثم انضم إلى الجماعة ليصبح من قادة الجهاز السرى يرتبط اسمه بقضية السيارة الجيب وبالحقيبة التى ضبطت معه وبها كل أوراق الجهاز السرى. ليتم اعتقاله بعد ذلك عقب حادث المنشية ليفرج عنه ثم أعيد اعتقاله عام ١٩٦٥ ليفرج عنه أيام السادات، ليخرج بعد ذلك من مصر ويؤسس ما عرف بالتنظيم العالمى للإخوان والاتصالات الخارجية وليصبح همزة الوصل ما بين التنظيم العالمى وجماعة الإخوان فى مصر، ووضع اسمه على رأس قائمة المطلوب اعتقالهم فى أحداث سبتمبر ١٩٨١، ولكنه كان قد سافر قبلها بشهرين وتنقل ما بين السعودية والكويت وألمانيا وعاد إلى مصر بعد أن أفرج الرئيس مبارك عن المعتقلين ليتولى منصب المرشد العام بعد وفاة محمد حامد أبو النصر عام ١٩٩٦، حتى وفاته عام ٢٠٠٢ بعد أن أصيب بنزيف بالمخ".

وتسلم المنصب من بعده مأمون الهضيبى الذى ولد عام ١٩٢١ وتخرج فى كلية الحقوق وعمل بالنيابة وتولى رئاسة محكمة غزة عام ١٩٥٦ وكان أحد أبطال

المقاومة الشعبية عام ١٩٥٦ ثم انضم بعد ذلك إلى جماعة الإخوان المسلمين واعتقل عام ١٩٦٥ وأقيل من منصبه القضائى وقدم للمحاكمة العسكرية وحكم عليه بالسجن لمدة عام وجدد اعتقاله خمس مرات وأفرج عنه عام ١٩٧١ ليعود إلى القضاء ويتولى منصب رئيس محكمة استئناف القاهرة ثم تم انتخابه عام ١٩٨٧ من تحالف الجماعة مع حزب العمل ليتم اختياره بعد ذلك مرشداً عاماً حتى وفاته عام ٢٠٠٤ ليخلفه محمد مهدى عاكف أحد أهم قيادات الجماعة من الجيل الأول سبق اعتقاله وسجن عدة مرات وكان أحد نجوم التنظيم الدولى للإخوان واستطاع أن يخرج بالجماعة إلى العلن، واقتحم العمل السياسى وحقق نجاحاً هائلاً بالوصول بـ ٨٨ عضوا من الجماعة إلى عضوية مجلس الشعب وإصراره على خوض الانتخابات فى كل المجالات.

ورغم توالى رجال جماعة الإخوان على قيادتها إلا أن التأثير الفكرى الروحى كان من نصيب حسن البنا الذى ركز على الجانب العقائدى والأخلاقى ثم حدث التطور الفكرى التنظيرى الحركى على يد سيد قطب.

ومع كل النجاح الذى حققه "عاكف"؛ رجل الإخوان القوى؛ إلا أنه كان مصراً على التخلى عن منصبه كمرشد عام للجماعة وهو ما حدث بالفعل وتم اختيار الدكتور محمد بديع عبد المجيد موسى (المرشد العام الثامن) لجماعة الإخوان بالانتخاب لأول مرة فى ظل وجود مرشد عام على قيد الحياة ليصبح محمد مهدى عاكف صاحب لقب أول مرشد عام سابق للجماعة.

والدكتور بديع الذى شهدت أيام ولايته الأولى أحداثاً تاريخية هامة فى تاريخ الجماعة، ولد فى ٧ أغسطس ١٩٤٣ فى المحلة الكبرى، وحصل على بكالوريوس كلية الطب البيطرى من جامعة القاهرة عام ١٩٦٥ ليصبح بعد ذلك أستاذ علم الأمراض بكلية الطب البيطرى بجامعة بنى سويف وسجل اسمه كواحد من أعظم مائة عالم عربى وفقاً للموسوعة العلمية العربية التى أصدرتها الهيئة العامة للاستعلامات المصرية عام ١٩٩٩، وكانت مسيرته العلمية توازى فى نجاحها صعوده المستمر فى جماعة الإخوان حتى أصبح عضو مكتب الإرشاد بجماعة

الإخوان في عام ١٩٩٣. وأهله لتلك المكانة تاريخ طويل من العمل والإخلاص للجماعة فقد كان هو ومهدى عاكف من تلاميذ سيد قطب المخلصين، وكانت علاقته بسيد قطب بداية معرفته بالمعتقلات فقد كانت قضيته الأولى عام ١٩٦٥ مع سيد قطب وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً قضى منها تسع سنوات وخرج ليستأنف مسيرته العلمية حتى حكم عليه بالسجن للمرة الثانية لمدة ٧٥ يوماً في قضية جمعية الدعوة الإسلامية ببنى سويف عام ١٩٩٨ ولم يكد يمر سوى عام واحد حتى عاد إلى السجن للمرة الثالثة فيما عرف بقضية النقابيين وحوكم أمام القضاء العسكري ليصدر حكم ضده بخمس سنوات قضى منها ثلاثة أرباع المدة ليخرج من السجن، ليصل بعد ذلك بعدة سنوات إلى منصب المرشد العام للإخوان.

والطريف أن الدكتور محمد بديع أصبح اسمه مرادفاً لأحداث تاريخية فريدة تحدث لأول مرة في تاريخ الجماعة، فقد أصبح مرشداً عاماً للجماعة بالانتخاب لأول مرة في ظل وجود مرشد سابق، كما حدث في عهده ولأول مرة أن يتم الاعتراف بجماعة الإخوان المسلمين بأمر الثورة وبدون الاحتياج إلى أمر من الحاكم لتعاود نشاطها مثلما كان يحدث كل مرة منذ جمد عملها الملك السابق فاروق، ومثل ما حدث مع كل الحكام الذين توالوا على حكم مصر بعد ذلك، حتى أنها تخلصت تماما من لقب "الجماعة المحظورة" التي ارتبط بها طوال عهد مبارك، ولم يكتف بديع بتصدر المشهد بهذه الانفرادات التي حدثت في عهده ولكن زاد عليها أهم حدث في تاريخ الجماعة على الإطلاق وهو ولادة حزب "الحرية والعدالة" الجناح السياسي الرسمي والمعلن للجماعة وكان بمثابة الدليل المؤكد على أهداف الجماعة الحقيقية التي لم تكتف أبداً بدورها الدعوي فهي خرجت من العباءة الدينية للجماعة لتجاهر بحقها في ممارسة السياسة وإن كانت الجماعة التي مازال مكتب الإرشاد يحكم سياستها لا تجاهر أبدا بخطتها المستقبلية وإنما يكتفون في خطابهم المعلن بالحديث عن البرلمان دون الوصول إلى كرسي الرئاسة فهي مرحلة لاحقة، وإن كان هذا لا يمنع ظهور أصوات شديدة الحدة تعلن عن

موقف الجماعة من حكم مصر ونوعية الحكم الذي ينشدونه من تحويل مصر إلى دولة دينية تحكم بالشريعة الإسلامية وتطبق فيها الحدود، لتخرج أصوات أخرى من داخل الجماعة لتنفى تلك التصريحات وتتخذ جانب الخطاب الإصلاحي معلنين رغبتهم فى إقامة دولة مدنية حديثة وبين كل هؤلاء ظهر على السطح وبقوة تيار من شباب الإخوان الذين يعلنون مواقفهم المعارضة للصقور القدامى رافضين كثيراً من أوامر وتعليمات الجماعة، ويبقى في النهاية مكتب الإرشاد بكامل رجاله ومعتقداته وأفكاره الراسخة ليحكم الجميع بنفس الأسلوب القديم من الخضوع للحاكم أحيانا واستعطافه في أحيان أخرى والخروج عليه عند الحاجة ورفع راية الدين طوال الوقت، وإذا كان الإخوان قد استطاعوا على مدى سنوات طويلة اللعب على وتر العواطف الدينية للمصريين ومشاعر الظلم والقهر التي خبروها في ظل الأنظمة السابقة فإن وقت الحديث عن تصدر المشهد بارتداء عباءة الدين وحده قد انتهت وإن كان الدين سيظل على قمة الأدوات التى يستخدمها الإخوان لاختراق القلوب ولكن جاء وقت تحقيق أحلام الشعب وليس أحلام الجماعة وحدها.

لكن سوف يظل الأمر الأخطر مطروحاً على الساحة وهو أمر مكتب الإرشاد الذي سوف يختفي دوره تماما في ظل استمرار جماعة الإخوان في الإصرار على بقائها جماعة دعوية مما يضعها الفترة القادمة وفي ظل دولة القانون التى توضع قواعدها في مصر بعد ثورة الشعب المصري في ٢٥ يناير وطبقاً للقوانين المعمول بها فإن الجماعة بذلك تكون تحت إشراف وزارة التضامن الاجتماعي مما يضع مكتب الإرشاد على المحك ويهدد وجوده كاملاً خاصة مع ادعاء قيادات الجماعة بأن "الإخوان المسلمين" لا تنطوي تحت عباءة حزب الحرية والعدالة المنشأ بعد أحداث يناير بقيادات خرجت من تحت عباءة الجماعة، ولهذا فمن المتوقع اختفاء مكتب الإرشاد في السنين القادمة ليظهر على مقاعد الهيئة العليا لحزب الحرية والعدالة.